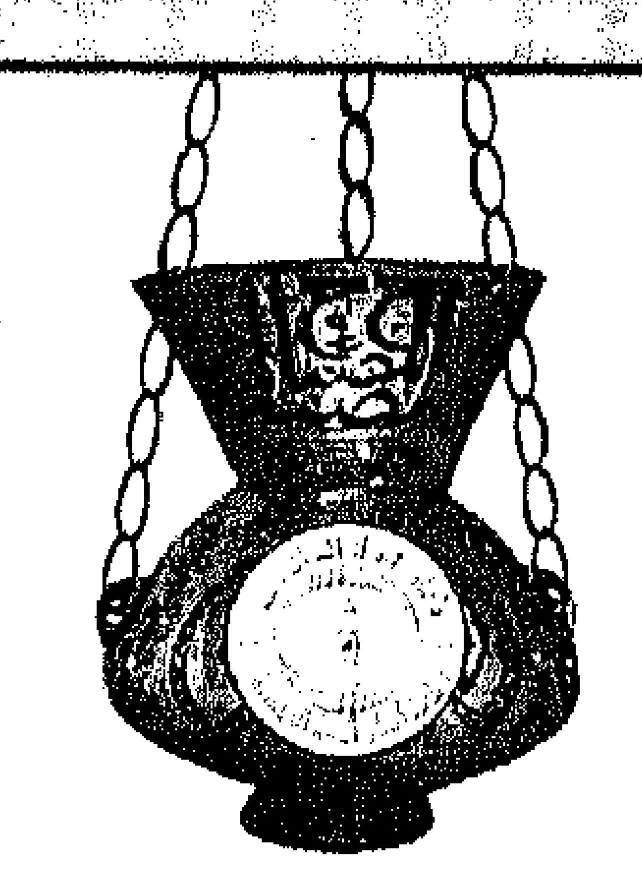


مجلة - ثقافية - شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
التوحيد
الترجيح في السُّنَّة
الحج عن الغير
العدد ٤٠٧ - السنة الرابعة والثلاثون - ذو القعدة ١٤٣٦هـ - الثمن ١٥٠ قرشا
مناسك الحج وأخطاء الحجيج
سُبُل الشيطان لإهلاك الإنسان
ظاهرة انتشار جراحات التجميل

رئيس مجلس الإدارة د. جمال المراكبي

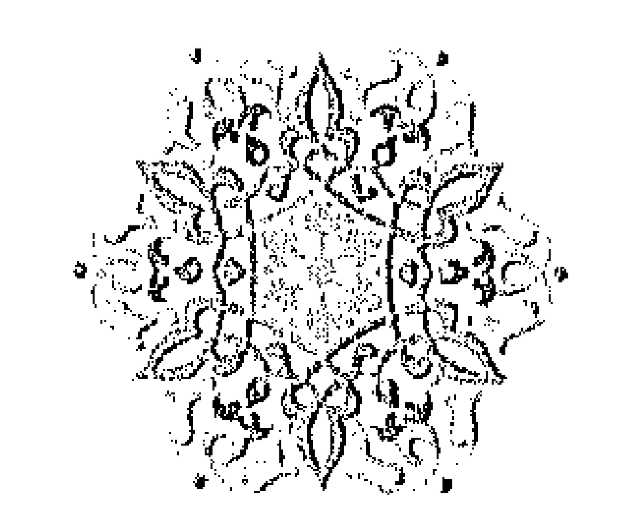




مجلة التوحيد
إسلامية - ثقافية - شهرية
السنة الرابعة والثلاثون
العدد ٤٠٧ - ذو القعدة ١٤٢٦هـ
الثمن ١٥٠ قرشًا

المشرف العام
د. عبد الله شاكر

اللجنة العلمية
د. عبد العظيم بدوي
زكريا حسيني
جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل



السلام عليكم

فتنةُ المَنْصِب

لاشك أن تَقلُّد المناصب من زينة الدنيا وفتنتها، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها، وكثير من الناس كان يَحْذَرها ويُحَذِّر غيره منها، فلما ذاق حلاوتها تغير رأيه، وتبدلت أفكاره، وتراجعت مبادئه، فإذا ما عوتب في ذلك قال: إن للمنصب لبريقًا.

وقد قال بعض ولد ابن شبرمة: كنت مع أبي جالسًا قبل أن يلي القضاء، فمرَّ به طارق بن أبي زياد في موكب نبيل، فلما رآه أبي تنفَّس الصُّعَداء وقال عن زينة المنصب وسرعة زوالها:

أراها وإنْ كانت تُحَبُّ كأنها
سَحابةُ صَيْفٍ عن قليلٍ تَقشَّعُ

ثم قال: اللهم لي ديني ولهم دنياهم.

فلما ابتُلِي بالقضاء وتقلد المنصب، قلت: يا أبت، أتذكر يوم طارق؟ فقال: يا بني إن أباك خطب في أهوائهم وأكل من حلوائهم!!

التحرير

البريد الإلكتروني
المجلة Mgtawheed@hotmail.com
رئيس التحرير Gshatem@hotmail.com
التوزيع والاشتراكات Ashterakat@hotmail.com
موقع المجلة على الإنترنت www.altawhed.com
موقع المركز العام www.ELsonna.com

التحرير / ٨ شارع قوله - عابدين القاهرة
ت: ٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٣٩٣٠٦٦٢
قسم التوزيع والاشتراكات ت: ٣٩١٥٤٥٦

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

رئيس التحرير **جمال سعد حاتم** مدير التحرير الفني **حسين عطا القراط**

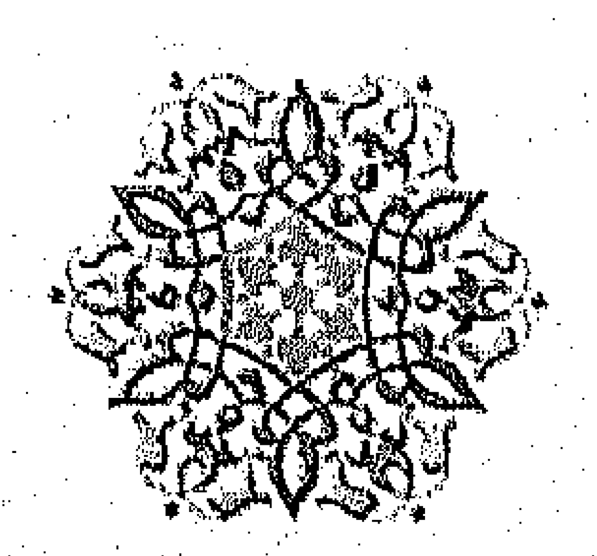
صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية

ثمن النسخة

مصر ١٥٠ قرشًا، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو.

الاشتراك السنوي:

١- في الداخل ٢٠ جنيهاً (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).
٢- في الخارج ٢٠ دولاراً أو ٧٥ ريالا سعوديا أو ما يعادلها. ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الاسلامي - فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - انصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).



في هذا العدد

التوزيع الداخلى
مؤسسة الأهرام
وفروع أنصار السنة المحمدية

المركز العام: القاهرة - ٨ شارع قوله - عابدين
هاتف: ٣٩١٥٥٧٦ - ٣٩١٥٤٥٦



الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه وبعد.

فإن الذكر ضد النسيان وضد الغفلة.

لأجل هذا أمر المولى تبارك وتعالى به عباده المؤمنين قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥٢].

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف:٢٠٥].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب:٤١-٤٢].

وقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١].

وقال: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٣٥].

والذاكرون الله كثيرًا هم الذين يذكرون الله في كل حال كما قال ربنا: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران:١٩١].

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه». [رواه مسلم]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة، فمر على جبل يقال له جمدان فقال: سيروا هذا جمدان، سبق المفردون.

قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات». [رواه مسلم]

قال ابن عباس: الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات يذكرون الله في أدبار الصلوات، وغدوًا وعشيًا أي صباحًا ومساءً، وفي المضاجع أي عند النوم، وكلما استيقظ من نومه، وكلما غدا أو راح من منزله أي في دخوله وخروجه والمعنى أنهم يذكرون الله في جميع أحوالهم.

وقال ابن الصلاح: إذا واظب المسلم على الأذكار المأثورة الثابتة صباحا ومساءً، وفي الأوقات والأحوال المختلفة ليلا ونهارًا كان من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات، وفي الحديث الذي رواه الأربعة إلا الترمذي «إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا ركعتين جميعا، كتبا في الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات» ذكر ذلك النووي في الأذكار وروى ابن ماجه عن عبد الله بن بُسر رضي الله عنه أن أعرابيا قال لرسول الله ﷺ إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ فأنبئني منها بشيء

أتشبث به، قال: لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله عز وجل». [وصححه الألباني]

فما أعظم أخي المسلم وما أيسر أن تكون من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات، وأن يبقى لسانك وقلبك وظاهرك وباطنك على هذا الذكر، فلا تغفل عن الله طرفة عين.

وقد ورد في فضل الذكر آيات وأحاديث كثيرة يطول المقال بذكرها منها ما رواه ابن ماجه والترمذي عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأرضاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟

قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: ذكر الله».

حضور الملائكة مجالس الذكر

والملائكة يتتبعون الذاكرين ويحرصون على مجالس الذكر كما في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارةً فُضلًا يبتغون مجالس الذكر فإذا وجدوا مجلسًا فيه ذكر قعدوا معهم، وحف بعضهم بعضًا بأجنحتهم حتى يملأوا ما بينهم وبين السماء الدنيا، فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء، قال: فيسألهم الله عز وجل - وهو أعلم بهم - من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عباد لك في الأرض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك. قال: وماذا يسألونني؟ قالوا: يسألونك جنتك. قال: وهل رأوا جنتي؟ قالوا: لا أي رب. قال: فكيف لو رأوا جنتي؟

قالوا: ويستجيرونك. قال: ومم يستجيرونني؟

قالوا: من نارك يا رب.

قال: وهل رأوا ناري؟

قالوا: لا.

قال: فكيف لو رأوا ناري؟

قالوا: ويستغفرونك.

قال: فيقول: قد غفرتُ لهم، وأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا.

قال: يقولون: رب فيهم فلانٌ عبدٌ خطاء إنما مَرَّ فجلس معهم.

قال: فيقول: وله غفرت، هم القومُ لا يشقى بهم جليسهم. [رواه مسلم].

فتأمل أخي المسلم هذه المحاورة بين الله عز وجل وبين الملائكة، وفكر في قول الله تعالى: ﴿فاذكروني أذكركم﴾ وفي قوله في الحديث القدسي: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم وإن تقرب إلي شبرًا تقربت إليه ذراعا وإن تقرب إلي ذراعًا تقربت إليه باعًا وإن أتاني يمشي أتيته هرولة». [رواه البخاري]

وقوله: «أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت بي شفتاه». [صحيح ابن ماجه]

وسل نفسك هل أنت مع ربك، وهل تحب أن يكون الله معك، وأن يذكرك في الملأ الأعلى من الملائكة، أم تريد أن تعرض عن الله وأن ترضى بملازمة الشياطين ومصاحبتهم أعاذنا الله منهم.

ذكر الله عز وجل عصمة من الشيطان

فيا من يشكو من مس الشيطان ومن وسوسة الشيطان أين أنت من ذكر الله ومعية الرحمن والله تبارك وتعالى يقول: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ * وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:١٩٩-٢٠١] ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ * وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون:٩٦-٩٨].

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت:٣٤-٣٦].

فهذه مواضع ثلاثة في الأعراف والمؤمنون وحم السجدة يرشد فيها المولى تبارك وتعالى إلى معاملة العاصي من الإنس بالمعروف وبالتي هي أحسن فإن هذا يُصلحه ويكفه عما هو فيه من التمرد بإذن الله تعالى حتى يصبح كأنه ولي حميم.

ثم يرشد المولى تبارك وتعالى إلى الاستعاذة به من العدو الأصيل وهو الشيطان الرجيم ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر:٦].

فإنه لا يكفه عنك الإحسان لإنه يريد هلاكك بالكلية وهو عدو لك ولأبويك من قبلك، وكل همه أن يحول بينك وبين الجنة كما فعل مع أبويك من قبل: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف:١٥-١٧].

ولهذا أرشد عباده إلى الاستعاذة بالله منه فهو سبحانه الذي يرد كيده، ويكف شره، ويعفو عن زلات عباده ويتوب عليهم كما تاب على الأبوين حين زلا ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف:٢٣] ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٣٧]

وذكر الله عز وجل في الجملة يحمي من الشيطان الرجيم، وفي الحديث الذي رواه الترمذي وأحمد عن الحارث الأشعري عن النبي ﷺ قال: إن

الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، فذكر أمرهم بالتوحيد والصلاة والصوم والصدقة ثم ذكر الخامسة وهي ذكر الله عز وجل فقال: «وآمركم أن تذكروا الله عز وجل، فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعًا حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم، فكذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله عز وجل». الحديث

قال ابن القيم: فلو لم يكن في الذكر إلا هذه الخصلة لكان حقيقًا بالعبد أن لا يفتر لسانه عن ذكر الله عز وجل وأن لا يزال لهجًا بذكره سبحانه، فإن العبد لا يحرز نفسه من عدوه إلا بالذكر، ولا يدخل عليه عدوه إلا من باب الغفلة، فهو يرصد العبد ويتربص به فإذا غفل العبد وثب عليه وافترسه، فإذا ذكر العبد ربه انخنس عدو الله وتصاغر حتى يكون كالذباب ولهذا سماه المولى تبارك وتعالى الوسواس الخناس لأنه يوسوس في الصدور فإذا ذكر الله تعالى خنس وكف وانقبض وتصاغر، ولا يتسلط إلا على من عجز عن ذكر ربه من أولياء الشيطان الضالين المضلين.

وقد روى أحمد في مسنده عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال: كنتُ رديف النبي ﷺ على حمار فعثر الحمار فقلت: تعس الشيطان.

قال النبي ﷺ: لا تقل تعس الشيطان فإنك إذا قلت تعس الشيطان تعاظم في نفسه وقال: صرعته بقوتي.

فإذا قلت: بسم الله، تصاغرت إليه نفسه حتى تكون أصغر من الذباب». [شرح السنة جـ١٢ ص٣٥٤ ح٣٣٨٤]

وقد روى عن أبي هريرة أنه قال: إن الشيطان إذا لُعن ضحك وإذا تُعوذ منه هرب.

وقال ابن عباس: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله تعالى خنس. [الوابل الصيب لابن القيم]

فالغفلة عن ذكر الله عز وجل موات للقلوب.

«ومثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت». [متفق عليه] والبيت الذي لا يصلي فيه أهله كالقبر الذي يسكنه الأموات، وفي الحديث الصحيح «اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبورًا». [متفق عليه]، وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عُقد يضرب على مكان كل عقدة، عليك ليلٌ طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطًا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان».

وإن من الموات أن يترك بعض الناس اللجوء إلى الله تعالى ويلجأون إلى ما يضرهم ولا ينفعهم من السحرة المشعوذين والكهنة والعرافين، وهذا أعظم ما يطمع فيه الشيطان من ابن آدم أن يوقعه في الشرك ويحول بينه وبين التوكل على الله وحده، وينسون قول الله تعالى ﴿ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:١٠٢].

وإن من العجب العجاب أن يلجأ بعض المسلمين إلى طلب الرقية ممن يزعمون أنهم يعالجون بالقرآن الكريم والرقية الشرعية مع أن نبينا محمدًا ﷺ الذي علمنا الرقية الشرعية حذرنا من أن نطلبها من أحد أو نسأل أحدًا وهو الذي يقول: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف». [الترمذي وأحمد]

وأخبرنا ﷺ أن السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب من صفوة هذه الأمة «هم الذين لا يسترقون» أي لا يطلبون الرقية من أحد من الناس مع أن الرقية مشروعة ونافعة بإذن الله تعالى ولكنها مع ذلك لا يطلبها المؤمنون المتوكلون على الله عز وجل فهم «لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون» جعلنا الله منهم بمنه وكرمه.

واعلم أخي المسلم أن الغفلة عن ذكر الله تورث قسوة القلب، فيصدأ القلب، ويغلفه الران، حتى يصبح الغافل على شفا جرف هار ينهار به في أتون النفاق المفضي إلى الدرك الأسفل من النار، ولا ينقذنا من هذه الهاوية إلا الله عز وجل نحتمي به ونعتصم به من الضلالة.

وذكر الله عز وجل أمان من النفاق، لأن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا كما قال ربنا عز وجل.

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاَةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [النساء:١٤٢].

لأجل هذا ختم المولى تبارك وتعالى سورة «المنافقون» بالتحذير من الغفلة عن ذكر الله عز وجل مخالفةً لسبيل المنافقين فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلاَ أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المنافقون:٩-١١].

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

كلمة التحرير

وقفة مع النفس في موسم الطاعات

إعداد
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله أما بعد:.

تتوالى مواسم الطاعات وتنجلي، بالأمس القريب ودعنا شهر رمضان، وها نحن نستقبل موسمًا آخر من مواسم الطاعات، فمن قصر في أيامه الخالية فعليه أن يستدرك ما فات، وأن يغتنم عمره قبل الممات، وأن يتوب إلى الله من العصيان، وأن يكون على ما يحبّ الرحمن فيما يستقبل من الزمان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه». [صحيح مسلم] فكم من مستقبل يومًا لم يكمله، وكم من مؤمل لم يدرك أمله، والأجل لا يأتي إلا بغتةً، لا يفرق بين صغير وكبير، ولا ذكر وأنثى قال تعالى: ﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المنافقون:١٠-١١].

إن عالم اليوم يعيش محطات تاريخية فاصلة، تأتي أمة الإسلام في قلبها وبؤرتها، إن العالم من حولنا يعيش متغيرات وتقلبات تحتّم على الأمة أن تتوقف لتحاسب نفسها وتراجع مسيرتها، فالأمة مدعوّة وبقوّة للمراجعة والنظر مليًا في ماضيها القريب، فأمة الإسلام محاصرةٌ من قبل أعدائها في الداخل وفي الخارج مما يستدعي وقفة عميقة وجادة لتنظر ماذا تصنع وكيف تتدبر، وكيف تفاوض، في نفس الوقت الذي يجب فيه على الأمة أن تراجع علاقاتها مع شعوبها وحكوماتها وقياداتها وأنظمتها.

مدرسة الحج عبر وفوائد!!

ومع توالي مواسم الخير ونحن على أبواب موسم الحج، وأفئدة المسلمين إلى بيت الله الحرام حيث يستعد الحجيج للتوجه إلى الأراضي المطهرة، وقلوبهم وأبصارهم تتطلع إلى أرض الله الحرام، إلى البيت المعمور، يتجهون إليه كل يوم في صلاتهم، ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ [البقرة:١٤٤] وأنظارهم تتطلع لبقاع مباركة تتجدد فيها العبر والعظات، قال سبحانه: ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ [آل عمران:٩٧]، الأمن والأمان في ربوعه بأمان من الله قال جل وعلا: ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ [آل عمران:٩٧] نفعه متعدٍّ للحاضر والباد، ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ [الحج:٢٨]، الأرزاق إليه دارة، والنعم حوله متوالية قال جل وعلا: ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [القصص:٥٧].

وحج بيت الله الحرام بابٌ رحبٌ لحط الأوزار والآثام يقول عليه الصلاة والسلام لعمرو بن العاص عند إسلامه: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها؛ وأن الحج يهدم ما كان قبله؟!». [رواه مسلم]

ففيه غسل أدران الخطايا والرزايا يقول النبي ﷺ: «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه». [متفق عليه صحيح البخاري ومسلم] ثوابه جنات النعيم يقول المصطفى ﷺ: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة». [رواه مسلم]

ومع اقتراب موسم من مواسم الطاعات واستعداد الحجيج

كلمة التحرير

إن العالم من حولنا يعيش متغيرات وتقلبات؛ تحتم على الأمة أن تتوقف لتحاسب نفسها وتراجع مسيرتها

للسفر إلى بيت الله الحرام لتأدية فريضة فرضها الله على القادر من عباده، فإن في الحج منافع وعبر وفوائد، فالتجرد من المخيط تُذكِرُ بلباس الأكفان بعد الرحيل.

وفيه إرشاد إلى التواضع ونبذ الكبرياء، الجمع كله إزار ورداء، والرأس خاضع للدّيان، هيأته الخضوع والاستكانة للرحمن، وإخلاص العمل لله وإفراده بالعبادة شعار الحجّ وبه افتتاح النُسُك «لبيك اللهم لبيك» فيها إعلان التوحيد ونبذ الشرك: «لبيك لا شريك لك لبيك» فيها تذكيرٌ بإسداء النِّعِمَ والثناء على المُنعِم: «إن الحمد والنعمة لك». ومن لبّى في بلد الله الحرام كان إلى التزام نداء الله بعد حجّه واستجابته لأوامره بعد أداء نُسُكِهِ أقرب.

ومع اقتراب موسم الحج ففي رؤية بيت الله المعمور مشهدٌ لإخلاص الأعمال لله. الخليل وابنُه يرفعان أشرف معمور ومع هذا يسألان الله قبول العمل وعدم رده ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٢٧].

وللطواف وقع على القلوب ومهابةٌ في النفوس في بساط بيت الله الآمن، فلا موطن على الأرض يُتَقرَّب فيه إلى الله بالطواف سوى الكعبة المشرّفة.

وفي تقبيل الحجر الأسود حسن الانقياد لشرع الله وإن لم تظهر الحكمة، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه «والله إني لأعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضرّ، ولولا أني رأيتُ رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك». [البخاري ومسلم].

ومع اقتراب موسم الحج ففي مناسكه درسٌ في التقيُّد بالسنّة وحسن الاتباع، يقول النبي ﷺ: «خذو عني مناسككم». [أخرجه مسلم من حديث جابر رضي الله عنه] فعلى المسلم اتباع المصطفى في كل قربة واقتفاء أثره في كل طاعة، ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر:٧].

ومع اقتراب موسم الحج ففيه يوم عرفة يومٌ أغرّ، ملتقى المسلمين المشهود، يوم رجاء وخشوع وذلّ وخضوع، يوم كريم على المسلمين، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى: «الحجيج عشية عرفة ينزل على قلوبهم من الإيمان والرحمة والنور والبركة ما لا يمكن التعبير عنه».

وأفضل الدعاء دعاء ذلك اليوم يقول ابن عبد البر في التمهيد ٤١/٦: «دعاء يوم عرفة مجاب كلُّه في الأغلب» والإكثار فيه من كلمة التقوى مع مفهوم مدلولها ومعانيها خيرُ الكلام، يقول المصطفى ﷺ: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير». [رواه الترمذي في سننه]. يوم يكثر فيه عتقاء الرحمن ويباهي بهم ملائكته المقرَّبين، يقول ﷺ: «ما من يوم أكثر من أن يُعتق الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنوا ثم يباهي بهم الملائكة...». [صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها]. قال ابن عبد البر: «وهذا يدلّ على أنهم مغفور لهم، لأنه لا يباهي بأهل الخطايا والذنوب إلا من بعد التوبة والغفران». [التمهيد:١/١٢٠] فكُن مُخْبِتًا لله في ذلك اليوم، متواضعًا خاضعًا لجنابه، منكسرًا بين يديه، طامعًا في كرمه، راغبًا في وعده، راهبًا من وعيده.

إن اجتماع الناس في عرفة تذكير بالموقف الأكبر يوم الحشر لفصل القضاء بين الخلائق ليصيروا إلى منازلهم؛ إمَّا نعيم وإما جحيم.

ومن عظم الله على عباده أن جعل الدعاء في ذلك اليوم عظيم المكانة، رفيع الشأن، يرفع الحاج إلى مولاه حوائجه ويسأله من كرمه المتوالي، فتقيد بشروطه، وتمسك بآدابه، واحذر من الوقوع في شيء من موانع إجابته، وتحرّ الأوقات والأمكنة الفاضلة لقبوله، وتوجه إلي الله بقلبك امتثالا لأمره في قوله: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر:١٤]، وارفع له سؤالك، وناجه بكروبك، وأيقن بتحقيق الإجابة، وألحَّ على الكريم في الطلب، ولا تيأس من تأخُّر العطاء، ففي التأخير رحمة وحكمة وهو الخلاق العليم، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢].

ومع اقتراب موسم الحج فإننا نُذكرُ بأن نُسُكَ النحر عبادة محضة لله، يتقرب بها المسلمون لربهم من هدي أو أضحية، ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ [الحج:٣٧].

يقترب موسم الحج وفي وضع النواصي بين يدي ربها حلقًا أو تقصيرًا استسلام لهيمنة الله وخضوعٌ لعظمته تَذَلُّلٌ لعزّته، والذكر وسيلة لحياة القلب، وتهذيب النفوس، وتزكية الفؤاد، وإقامةُ ذكر الله، والإكثار منه في المشاعر مقصد من مقاصد أداء تلك الشعيرة، وأرجى لقبولها وأصدق في إخلاص فعلها، قال تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾ [الحج:٢٨] وقال جل وعلا: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة:١٩٨]، وقال جل جلاله: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة:٢٠٠]، وقال سبحانه: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة:٢٠٣]، فصاحب ذكر الله في سائر حجِّك فمشاعر الحج شُرعت لذلك يقول النبي ﷺ: «إنما جُعل الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله». [سنن الترمذي وأبي داوود].

إصلاح العقيدة أساس كل إصلاح

يقترب موسم الحج والمسلمون في أمس الحاجة لتبصر أحوالهم في هذا المنعطف الخطير من تأريخ أمتهم. وليعلموا أن ما لحق بهم من ذل ومهانة، وما مسهم من لغوب واستكانة في كثير من المجتمعات إنما يعود إلى تمزقُ عُراهم وتفرق قواهم، وما شعيرة الحج إلا دعوة للمسلمين إلى وجوب الوحدة والاتحاد وثنيٌ لهم عَمَّا مُنُوا به في هذه الحقبة المعاصرة من ضعف وتدابر، لقد آن الأوان أن تجعل أمة الإسلام من هذا الموسم فرصة لاجتماعها، ومناسبة لاتحادها بعدما فرقتها الفتنُ والأهواء وشتتتها المحن، والله عز وجل يقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠]، ويقول سبحانه: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران:١٠٣].

وصلاح العقيدة سبب لكل صلاح فتوحيد الله من أعظم المقاصد في الحج، والإذعان له من كل فج والتقرب له سبحانه، وما التلبية التي يدوي بها الحجيج وتهتزلها جنبات البلد الأمين، وتجلجل بها المشاعر المقدسة إلا عنوان التوحيد والإيمان، وشعار الطاعة والإذعان وقد وصف جابر بن عبد الله رضي الله عنهما إهلال النبي ﷺ قائلاً فأهل رسول الله ﷺ بالتوحيد: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك». [أخرجه مسلم]

إن اجتماع الناس في عرفة تذكير بالموقف الأكبر يوم الحشر لفصل القضاء بين الخلائق ليصيروا إلى منازلهم؛ إمَّا نعيم وإما جحيم

كلمة التحرير

إن التلبية التي يدوي بها الحجيج وتهتزلها جنبات البلد الأمين، وتتجلجل بها المشاعر المقدسة لهي عنوان التوحيد والإذعان للواحد الديان

إن الغيور على دينه من أهل الإسلام عمومًا، وقاصدي المسجد الحرام خصوصًا أن يكون مثلا عاليًا في إسلام الوجه لله، وإفراده بخالص التوحيد، وصدق العبوديّة، مع التمسُّك الوثيق بالسنّة والتزام منهج الإسلام الحق في الاعتدال والوسطية ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة:١٤٣]، والتحلي بجميل الأخلاق والمزايا وكريم الشمائل والسجايا.

أمة الإسلام وأصحاب الهوى!!

الحج مشهد جليل مهيب من مشاهد هذه الأمة يجتمع فيه المسلمون من مشارق الأرض ومغاربها، وإن الناظر في أحوال الحجيج يقف على صورة جليّة تحكي واقع الأمة الإسلامية بحلوه ومرّه، ولذلك فإن المنطلقات المهمة أن تستثمر الأمة هذه المناسبة العظيمة لإصلاح واقعها في جميع جوانبه، والمستقرئ لأحوالها يرجع بالأمس لما آل إليه أمرها في كثير من أوضاعها، حيث اندرست جملة من معالم الشريعة حينما كدّرتها شوائب الضلالة وأصحاب الهوى ممن علا صوتهم، وخفت عملهم، وكثرت شعاراتهم الجوفاء، فانفرط عقد وحدتها، وتناثر سلسال رونقها، وتفرقت بها السُبل والآراء، وتجارت بها المحن والأهواء، وذرّ قرن الفتنة في كثير من مجتمعاتها، وتكلمت الرويبضة، واستنسَر خفافيش الظلام ممن في نفوسهم عَرض وفي قلوبهم هوى ومرض ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!!

فيا أمة الإسلام، يا حجاج بيت الله الحرام، يا جموع الطائفين بكعبة الله، القائمين حول بيته، الراكعين الساجدين في حرم الله، يا من أتيتم من كل فج عميق، واجتمعتم في هذا البيت العتيق، هذه قبلتكم قبلة واحدة، وهذه أمتكم أمّة واحدة، فبأي مسوِّغ شرعي تختلفون؟! وبأي مقتضى علميّ تتفرقون؟! وبأي موجب منطقيٍّ تتنازعون، وأنتم أمام قبلتكم تجتمعون، وحيثما كنتم إليها تتوجّهون وشطرها تيممون؟! أما تعلمون وتوقنون أن في مخالفتكم ما أمرتم به من الاعتصام بحبل الله جميعًا ذهاب ريحكم، وضياع هيبتكم، وتسليط عدوكم عليكم؟! وقد قال ﷺ في مثل هذا الموقف العظيم: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به فلن تضلوا بعدي أبدًا: كتاب الله وسنتي».

نناشدكم الله أن تكونوا في طليعة الأمة إلى إصلاح أحوالها، وفي الصدارة إلى استقامة أوضاعها ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١].

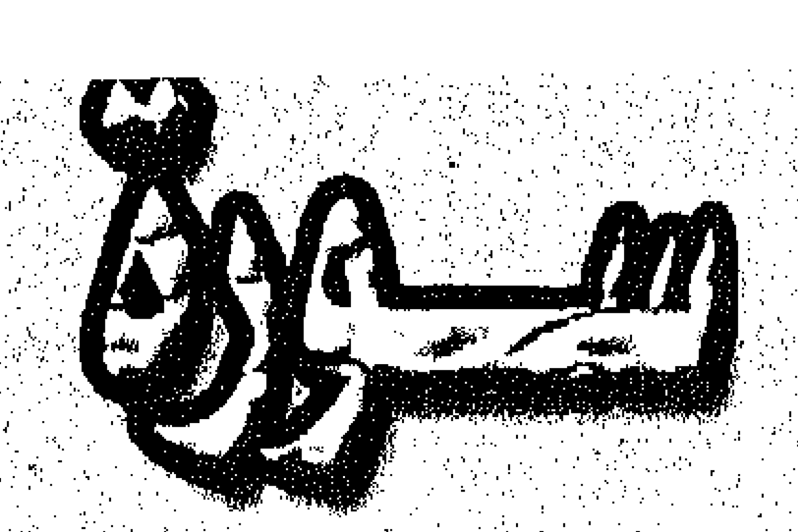
ولتستقبلوا أيامكم بصفحة ناصعة منعمة بجلائل الأعمال، ولتعلموا أن من أسباب صلاح الحال ورفع البلاء الإلحاح على الله بالدعاء.

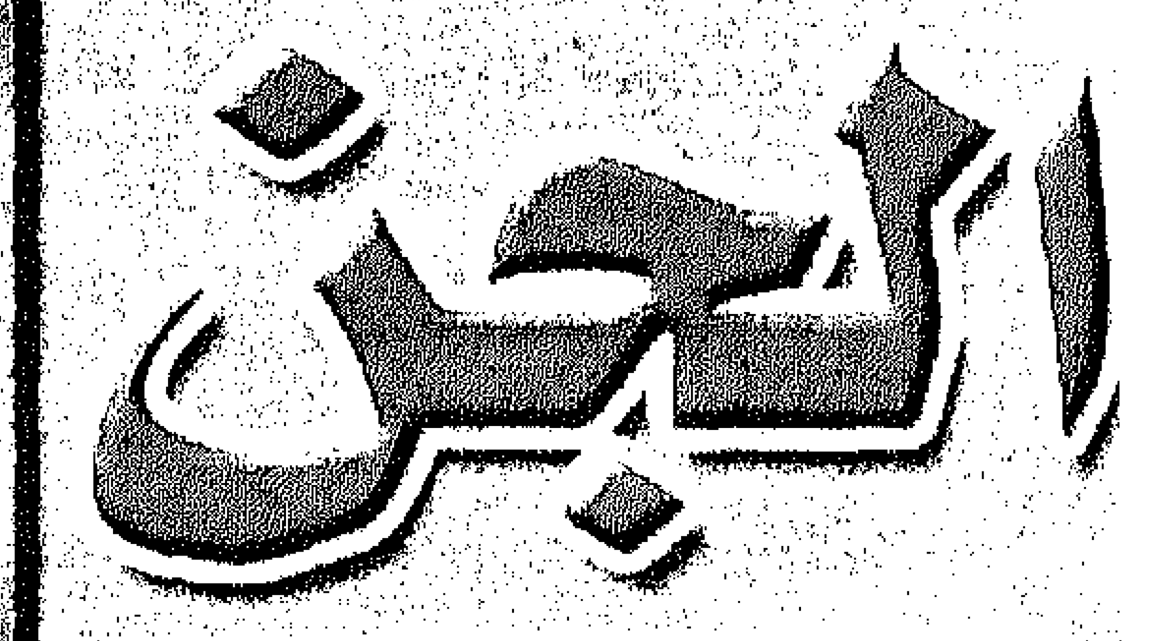
إحذروا عدُوكم الشيطان الذي يريد أن تكون حياتكم لهوًا ولعبًا وكسلا عن الطاعات، ويريد أن ينغمس الإنسان في اللذائذ المحرمّات والشهوات، وأن يفرق في بحار الغفلة والموبقات، فاعتصموا بربكم واثبتوا على صراط الله المستقيم فإنه الطريق إلى جنّات النعيم.

تقبل الله منا ومنكم الطاعات ورفع شأن الأمة وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين!!



سورة الجن





إعداد
د. عبد العظيم بدوي

قال تعالى: ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا (٩) وَأَنَّا لاَ نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (١٠) وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا (١١) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا (١٢) وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلاَ يَخَافُ بَخْسًا وَلاَ رَهَقًا (١٣) وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (١٥) وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا (١٦) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (١٧) وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١٨) وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (١٩) قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (٢٠) قُلْ إِنِّي لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلاَ رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢) إِلاَّ بَلاَغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا (٢٣) حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا (٢٤) قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا (٢٥) عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ [الجن: ٨- ٢٨].

تفسير الآيات

هذا إخبار من الجنّ عما كانوا يقومون به من استراق السمع قبل بعثة النبي ﷺ، وأنه بعد بعثته ﷺ مُلئت السماء حرسًا شديدًا، وحُفظت من سائر أرجائها، وحيل بين الجن وبين ما كانوا يخطفون من خبر السماء، فيلقونه على ألسنة الكهنة، كما سبق بيانه، فالآن لا يقدرون على ذلك، ولهذا قالوا: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا × وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ يعني قبل ذلك، ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾ أي: من يروم أن يسترق السمع اليوم يجد له شهابًا مرصدًا له، لا يتخطاه ولا يتعداه، بل يمحقه ويهلكه.

ثم نفوا عن أنفسهم علم الغيب فقالوا: ﴿وَأَنَّا لاَ نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾، أي: ما ندري هذا الأمر الذي حدث في السماء أهو شرّ أريد بمن في الأرض، أم أراد بهم ربهم رشدا؟ لا ندري لأنه من علم الغيب ونحن لا نعلم الغيب، وفي قولهم: هذا تأدب مع الله تعالى، حيث لم يسندوا الشر إليه،

وأسندوا إليه الرشد، وهذا من أدب الأنبياء والصالحين، فقد قال الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ × وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ × وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء: ٧٨- ٨٠]، فأسند المرض إلى نفسه، ولم يُسنده إلى الله تعالى.

وكان الخليل محمد ﷺ يقول: «والشر ليس إليك».

))وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴾ هذا إخبارٌ من الجن بأنّهم مثلنا تمامًا، فِرَقٌ، وطُرُقٌ، وأحزابٌ، ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾، قالوا: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴾، ثم أخبروا عن ضعفهم وعجزهم، وقدرة الله عليهم، فقالوا: ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّا ﴾ والظنّ هنا بمعنى الاعتقاد الجازم ﴿ أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴾، فانظر كيف أخبروا أنهم خلق من خلق الله، نواصيهم بيده، إذا شاء أن يأخذهم أخذهم، ولن يعجزوه، ولن يستطيعوا- إذا حاولوا- أن يهربوا من قدره، ولهذا قال تعالى: ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا ﴾ [الرحمن: ٣٣]، قال العلماء في تفسيرها: إن استطعتم أن تخرجوا من أقطار السماوات والأرض هربًا من قضائي فاخرجوا، ثم أخبر عن عجزهم، فقال: ﴿ لاَ تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ ﴾ [الرحمن: ٣٣] أي بقوة أقوى من قوة الله وأنى لهم ذلك؟!

وقولهم: ﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ ﴾ يفتخرون بذلك، وحُقّ لهم، ولقد سمعوا القرآن فسمّوه هدى؛ لأن الهدى حقيقته، والهدى طبيعتُه، والهدى كامنٌ فيه، من ابتغى الهدى في غيره أضلّه الله، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩]، وقال: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤]، وفي قولهم هذا تعريض بالمشركين الذين أعرضوا عن القرآن، وقالوا: ﴿ لاَ تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ [فصلت: ٢٦]، ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴾ [فصلت: ٥]، وكان الجنّ المؤمنين يقولون لهؤلاء: ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾ [فصلت: ٥]؟ ﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ ﴾ لأول مرة، فما بالكم لا تؤمنون والقرآنُ يُتلى عليكم صباحَ مساءَ.

وقولهم: ﴿ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلاَ يَخَافُ بَخْسًا وَلاَ رَهَقًا ﴾ أي لا يخاف أن يُبخس حقًا، ولا يُحمّل وزر غيره، كما قال تعالى: ﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (١١١) وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَ يَخَافُ ظُلْمًا وَلاَ هَضْمًا ﴾ [طه: ١١١، ١١٢].

وقولهم: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ﴾ أي الجائرون الظالمون، القاسط هو الجائر الظالم، أما المقسط فهو العادل، قال تعالى: ﴿ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾، وقال هنا: ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾.

وقولهم: ﴿ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴾ أي: اختاروا لأنفسهم النجاة بقبولهم الإسلام الذي هو دين الحق بعد التحرّي ودقة النظر والتأمل فيه، حتى تبين لهم أنه الحق، ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ كما قال تعالى للمشركين: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، يعني حطب جهنم، ولذا قال تعالى للمؤمنين: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: ٦]، فالناس هم القاسطون، والحجارة هي الأصنام التي كانوا يعبدونها من دون الله.

وقوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴾: المراد بالطريقة: الطريقة المحمدية النبوية.

فعليك يا عبد الله بطريقة رسول الله ﷺ، ودع سائر الطرق، فإنها طرق ضلالة، إنّ طريقة رسول الله ﷺ هي صراطُ الله، الذي أمرت بالسير عليه، واجتناب ما سواه، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

إن طريقة محمد ﷺ غنيّ عن جميع الطرق، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٦]، أي: إن في هذا القرآن لكفاية لقوم

عبدوا الله واجتنبوا الطاغوت، ومن لم يكفه القرآن فلا كفاه الله، ومن لم يستغن بالقرآن فلا أغناه، وقوله تعالى: ﴿ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴾ أي: ماء هنيئًا مريئًا متتابعًا، لا ينقطع عنهم، كما قال تعالى: ﴿لَكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [النحل: ١٠، ١١]، ولقد ربط الله تعالى سعة الرزق ورغد العيش بالاستقامة في أكثر من آية، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، وقال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: ١٣٢].

وقوله تعالى: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ أي: نوسع عليهم في الرزق: ﴿ لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ [الكهف: ١٠]. ولنعلم من يشكر منهم ومن يكفر.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ أي: يدخله في نوع من العذاب خاص، وهو الصعود، فيكلف وهو في أسفل وادٍ في جهنم أن يصعد في جبل منها، وفي ذلك من العناء والإرهاق والمشقة ما لا يخفى، كما قال تعالى: ﴿ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴾، عافانا الله وسائر المسلمين، وهذا الصعود نوع من أنواع عقوبة الإعراض عن ذكر الله، وثمّ أنواع أخرى:

منها: تسلّط الشيطان على الإنسان فيصدّه عن الهدى والحق، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٣٦، ٣٧.(((

ومنها: الطبعُ على القلب، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢].

ومنها: المعيشة الضنك، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤].

ومنها: الإنذار بصاعقة مثل صاعقة عادٍ وثمود، قال تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ [فصلت: ١٣].

ومنها: كونُ المعرض كالحمار، قال تعالى: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (٤٩) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ [المدثر: ٤٨- ٥١].

يقول تعالى آمرًا عباده أن يوحّدوه في محالّ عبادته: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾، لأن دعاء غير الله ينافي توحيد الله، ﴿ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾، كما قال تعالى: ﴿ وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦) وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٦-١٠٧].

وإذ الأمر كذلك ﴿فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾، لأن «الدعاء هو العبادة»، كما قال النبي ﷺ، وإذا كان أحدٌ لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا، فضلاً عن أن يملكه لغيره، فكيف تدعونه من دون الله؟! ﴿ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلاَيَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٦، ٦٧]، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥- ٦].

إنّ من العجيب أن ترى أناسًا من أهل التوحيد يأتون الأضرحة والمقامات يتضرعون إليها، ويستغيثون بها، وإن تسمع لقولهم تسمع الكفر البواح: فهذه امرأة لا تلد! تسأل سيدها صاحب المقام أن تحمل! وهذه أولادُها يموتون! تسأل سيدها صاحب المقام أن يعيشوا! وهذا رجلٌ موظفٌ في مكان بعيد! يسأل سيده صاحب المقام أن ينقله إلى بلده! يا هؤلاء أفيقوا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٤]، ﴿ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ (١٣) إِن تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤]، ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: ١٤]، وإذا سألتم فاسألوا الله، وإذا استعنتم فاستعينوا

بالله، واعلموا أن الأمر كله لله، ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [فاطر: ٢].

وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ المراد بعبد الله رسول الله ﷺ، وإنما وصفه ربه بالعبودية لأنها أشرف ما يوصف بها إنسان، ولذا وصف الله تعالى بها نبيه ﷺ في أشرف المقامات، فقال في مقام التنزيل: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴾ [الكهف: ١]، وقال في مقام الدعوة: ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾ الآية، وقال في مقام التحدي: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا ﴾ [البقرة: ٢٣] الآية، وقال في مقام الإسراء: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى ﴾ [الإسراء: ١].

ومعنى الآية: أنه لما قام رسول الله ﷺ بالدعوة إلى الله اجتمعت الإنس والجن على إطفاء نور هذا الدين، فأبى الله إلا أن يظهره على الدين كله، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي ﴾ أي أعبده ﴿ وَلاَ أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴾، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي (١٤) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ ﴾ [الزمر: ١٤، ١٥].

ثم أمر الله نبيه أن يعين لهم أنه ليس له من الأمر، وإنما هو نذير مبين، فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلاَ رَشَدًا ﴾ كما قال تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، وكما قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [القصص: ٥٦]، كما أمر الله نبيه أن يبين لهم إذا كان لا يملك لهم ضرًا ولا رشدًا، فإنه كذلك لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا، وأنه إن عصى الله فلن يجد من يدفع عنه عذابه، فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ ﴾ أي لا أحد ينقذني من عذاب الله إن عصيته: ﴿ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾، أي لا أجد نصيرًا ولا ملجأ ألجأ إليه، وأستجير به من عذاب الله، وقوله تعالى: ﴿ إِلاَّ بَلاَغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ ﴾ معناه: أنه لا سبيل لنجاتي من عذاب الله إلا أن أبلغكم ما أرسلت به إليكم، فهذا هو السبيل الأوحد لنجاتي، فهذه وظيفتي، البلاغ، ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ﴾ [هود: ٥٧]، ﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا ﴾، وهذا وعد حق، ﴿ حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴾ أهم؟ أم المؤمنون الموحدون؟ وهم- بلا شك- أضعف ناصرًا وأقل عددًا.

وكما أمر الله نبيه ﷺ أن يقول لهم: ﴿ لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلاَ رَشَدًا ﴾ أمره أن يبين لهم أنه لا يعلم الغيب، فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴾ يعني لا أعلمُ متى يحل بكم عذاب الله، ولا أعلم متى تكون الساعة؛ لأن ذلك من علم الغيب، وهو من خصائص الرب سبحانه، فهو سبحانه ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾، فلا يعلمُ الغيب ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا ولي صالح من الجن والإنس، وقد سبق قول الله تعالى حكاية عن الجن: ﴿ وَأَنَّا لاَ نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾، ولقد سئل ﷺ: «متى الساعة؟» فلم يجب، وإنما قال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل». وكان السائل جبريل عليه السلام.

ولذا قال تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وقوله تعالى: ﴿ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ ﴾ من الملائكة أو من ينزلون عليهم بالوحي من البشر يعني فإن الله يُطلعه على بعض الغيبيات، وهذه كما قال تعالى: ﴿ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾، أي يخصه بمزيد حفظه من الملائكة، ﴿ لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ ﴾ أي ليعلم الله أن الرسل قد أبلغوا رسالات ربهم، من غير زيادة ولا نقص، وهو سبحانه يعلم ذلك سلفًا، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾، وإنما هذه الآية كقوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد: ٣١]، ونحوها، والله تعالى أعلم.



الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى، والصلاة والسلام على المصطفى المبعوث رحمة وهداية للناس أجمعين وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد..

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: أردف النبي ﷺ الفضل بن عباس يوم النحر خلفه على عجز راحلته، وكان الفضل رجلا وضيئًا، فوقف النبي ﷺ للناس يفتيهم، وأقبلت امرأة من خثعم وضيئة تستفتي رسول الله ﷺ، فطفق الفضل ينظر إليها، وأعجبه حسنها، فالتفت النبي ﷺ والفضل ينظر إليها، فأخلف بيده فأخذ بذقن الفضل فعدل وجهه عن النظر إليها، فقالت: يا رسول الله، إن فريضة الله في الحج على عباده أدركت أبي شيخًا كبيرًا لا يستطيع أن يستوي على الراحلة، فهل يقضي عنه أن أحج عنه؟ قال: «نعم».

إعداد/ زكريا حسيني

أولاً: تخريج الحديث

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في أربعة مواضع، أولها: في كتاب الحج، باب وجوب الحج وفضله برقم (١٥١٣). والثاني في كتاب جزاء الصيد، باب: الحج عمن لا يستطيع أن يثبت على الراحلة برقم (١٨٥٤) وباب حج المرأة عن الرجل برقم (١٨٥٥). والثالث في كتاب: المغازي، باب: حجة الوداع برقم (٤٣٩٩) والرابع في كتاب الاستئذان، باب: قول الله تعالى: ﴿لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ وقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ...﴾ وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ برقم (٦٢٢٨).

وأخرجه الإمام مسلم في الصحيح في كتاب الحج باب الحج عن العاجز لزمانة وهرم ونحوهما أو للموت برقم (١٣٣٤) وبرقم (١٣٣٥)، وأخرجه الإمام أبو داود في سننه كتاب المناسك باب الرجل يحج عن غيره برقم (١٨٠٩) وأخرجه الإمام الترمذي في جامعه في كتاب الحج، باب: ما جاء في الحج عن الشيخ الكبير والميت برقم (٩٢٨)، والإمام النسائي في سننه، في كتاب: مناسك الحج، باب: حج المرأة عن الرجل برقم (٢٦٤٢)، والإمام ابن ماجه في سننه في كتاب المناسك، باب: الحج عن الحي إذا لم يستطع برقم (٢٩٠٧) والإمام مالك في الموطأ في كتاب الحج، باب: الحج عمن يحج عنه، والإمام أحمد في المسند بالأرقام [٧٦/١، ١٥٧، ٢١٢، ٢١٩، ٢٥١، ٣٢٩، ٣٤٦، ٣٥٩] والإمام الدارمي في سننه في كتاب المناسك.

ثانيا: أحاديث في الموضوع نفسه

منها حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ سمع رجلا يقول: لبيك عن شُبْرُمة. قال: «ومن شبرمة؟» قال: أخ لي - أو قريب لي - فقال:

«حججت عن نفسك؟» قال: لا، قال: «فحج عن نفسك ثم حج عن شبرمة». [أخرجه أبو داود في المناسك باب الرجل يحج عن غيره، وابن ماجه في المناسك وابن حبان في صحيحه] ومنها حديث أبي رزين العقيلي قال: يا رسول الله، إن أبي شيخ كبير لا يستطيع الحج والعمرة ولا الظعن، قال: «احجج عن أبيك واعتمر». [أخرجه أبو داود، والترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح وأخرجه النسائي وابن ماجه] ومنها حديث بريدة قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: إن أمي ماتت ولم تحج، أفأحج عنها؟، قال: «نعم حجي عنها» أخرجه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح.

ومنها حديث ابن عباس أن امرأة سألت النبي ﷺ عن أبيها مات ولم يحج، قال: «حجي عن أبيك». [أخرجه النسائي]

ومنها حديث حصين بن عوف قال: قلت يا رسول الله: إن أبي أدركه الحج ولا يستطيع الحج إلا معترضا، فَصَمَتَ ساعة، ثم قال: «حُجَّ عن أبيك». [أخرجه ابن ماجه]

ثالثا: شرح الحديث

(أ) تعريف بالفضل بن عباس رضي الله عنهما:

هو الفضل بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي أبو عبد الله، ويقال: أبو محمد ويقال: أبو العباس المدني ابن عم رسول الله ﷺ، وأمه أم الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث بن حزن الهلالية وكان شقيق عبد الله بن عباس، روى عنه أخوه عبد الله وغيره، غزا مع رسول الله ﷺ مكة وحنينًا، وثبت معه يومئذ حين ولى الناس، وشهد معه حجة الوداع وأردفه رسول الله ﷺ. وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ زوجه وأمهر عنه، وكان فيمن غَسَّلَ النبي ﷺ وولي دفنه، مات في طاعون عمواس سنة ثماني عشرة من الهجرة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(ب) مفردات الحديث:

الرديف: الراكب خلف الراكب.

خثعم: اسم قبيلة مشهورة.

الوضيء: حسن الوجه جميل الصورة.

عَجُزُ الراحلة: مؤخرها.

فاخلف يده: أدارها من خلفه.

الذقن: مجتمع اللحيين من أسفلهما، العظم أسفل الفم.

لا يستطيع أن يستوي: أي لا يستطيع أن يثبت على الراحلة لشيخوخته وكبر سنه.

فهل يقضي عنه أن أحج عنه؟ أي: فهل يجزئ عنه أن أحج عنه؟.

(جـ) معنى الحديث وفقهه:

في هذا الحديث وغيره من الأحاديث التي سُقناها مشروعية الحج عن الغير، قال الحافظ في الفتح: واستدل الكوفيون بعمومه على جواز أن يحج الإنسان عن غيره وإن لم يحج عن نفسه، وخالفهم الجمهور فخصوه بمن حج عن نفسه واستدلوا بحديث ابن عباس فيمن سمعه النبي ﷺ يقول: «لبيك عن شُبْرُمَةَ» فقال: «أحججت عن نفسك؟» قال: لا، قال: «هذه عن نفسك ثم حج عن شبرمة». قال الحافظ: واستُدل به على أن الاستطاعة تكون بالغير كما تكون بالنفس، وعكس بعض المالكية فقال: من لم يستطع بنفسه لم يلاقه الوجوب. وأجابوا عن حديث الباب بأن ذلك وقع من السائل على سبيل التبرع وليس في شيء من طرقه تصريح بالوجوب. وبأنها عبادة بدنية فلا تصح النيابة فيها كالصلاة، وقد نقل الطبري وغيره الإجماع على أن النيابة لا تدخل في الصلاة، ثم قال الحافظ ابن حجر: وأجيب بأن قياس الحج على الصلاة لا يصح؛ لأن عبادة الحج مالية بدنية معًا فلا يترجح إلحاقها بالصلاة على إلحاقها بالزكاة. وقال عياض: لا حجة للمخالف في حديث الباب؛ لأن قوله: «إن فريضة الله على عباده في الحج...» معناه: إن إلزام الله عباده بالحج. وتعقب أيضا بأن في بعض طرقه التصريح بالسؤال

عن الإجزاء فيتم الاستدلال. وفي بعض طرق مسلم «إن أبي عليه فريضة الله في الحج» ولأحمد في رواية «والحج مكتوب عليه». وادعى بعضهم أن هذا الحديث مخصوص به أبو الخثعمية والخثعمية، كما خُص سالم مولى أبي حذيفة برضاعه في حال الكبر، قال ابن عبد البر: وممن قال بذلك مالك وأصحابه، وهو مروي عن عبد الله بن الزبير وعكرمة وعطاء والضحاك، قال الحافظ ابن حجر: وتعقب بأن الأصل عدم الخصوصية وقد قال ﷺ للمرأة الجهنية: «اقضوا الله فالله أحق بالوفاء»، قال: وادعى آخرون منهم أن ذلك خاص بالابن يحج عن أبيه ولا يخفى أنه جمود. اهـ. وكذلك يرده حديث من لبى عن شبرمة بقوله: أخ لي أو قريب لي.

عمن تكون النيابة في حج الفريضة؟؟

قال الحافظ في الفتح: واتفق من أجاز النيابة في الحج على أنها لا تجزئ في الفرض إلا عن موت أو عطب فلا يدخل المريض؛ لأنه يرجى برؤه، ولا المجنون؛ لأنه يرجى إفاقته، ولا المحبوس؛ لأنه يرجى خلاصه ولا الفقير؛ لأنه يرجى استغناؤه، والله أعلم. وأما في النافلة فلا يشترط الموت والعطب، والله أعلم.

هل يلزم المحرَمُ للمرأة في حج الفريضة؟

قال أبو عمر ابن عبد البر: وقد زعم بعض أصحابنا أن في هذا الحديث دليلاً على أن للمرأة أن تحج وإن لم يكن معها ذو محرم؛ لأن رسول الله ﷺ قال للمرأة الخثعمية: «حجي عن أبيك» ولم يقل: إن كان معك محرم. ثم قال: وهذا ليس بالقوي من الدليل؛ لأن العلم ما نطق به لا ما سكت عنه، وقد قال ﷺ: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر إلا مع ذي محرم أو زوج». [رواه مسلم من حديث ابن عمر]. ورواه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر أيضًا: «لا تسافر المرأة ثلاثا إلا ومعها ذو محرم».

من الفوائد في هذا الحديث

١ - ركوب شخصين على دابة إذا كانت الدابة تطيق ذلك، قال ابن عبد البر: هذا مما لا خلاف في جوازه.

٢ - إباحة الارتداف؛ فإن رسول الله ﷺ أردف الفضل، كما أردف عبد الله بن عباس وأردف معاذ بن جبل وغيرهم.

٣ - تواضع الرسول ﷺ، قال ابن عبد البر: وأفعال الرسول ﷺ كلها سُنَنٌ مرغوب فيها يحسن التأسي بها على كل حال، ومنها جميل الارتداف بالجليل من الرجال.

٤ - بيان ما رُكّبَ في الآدميين من الشهوات وما يخشى من نظر الرجال إلى النساء والنساء إلى الرجال، قال ابن عبد البر: وكان الفضل بن عباس من أجمل الشبان في زمانه، ووقع في رواية الطبري في آخر الحديث قوله ﷺ: «رأيت غلاما حدثا وجارية حدثة فخشيت أن يدخل بينهما الشيطان».

٥ - أن على العالم والإمام أن يغير من المنكر كل ما يمكنه بحسب ما يقدر عليه إذا رآه، وليس عليه ذلك فيما غاب عنه.

٦ - فيه دليل على أنه يجب على الإمام أن يحول بين الرجال والنساء اللواتي لا يُؤمَن عليهن ولا منهن الفتنة، وأن يمنعهن من الخروج والمشي في الحواضر والأسواق وحيث ينظرن إلى الرجال وينظر الرجال إليهن، أفاده ابن عبد البر وروَى حديث أسامة بن زيد «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء».

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه]

٧ - منزلة الفضل بن العباس رضي الله عنهما من النبي ﷺ.

٨ - تحريم النظر إلى الأجنبيات ووجوب غض البصر عنهن، قال الحافظ في الفتح: قال عياض: وزعم بعضهم أنه غير واجب إلا عند خشية الفتنة، قال: وعندي أن فعله ﷺ إذ غطى وجه الفضل أبلغ من القول. ثم قال: لعل الفضل لم ينظر نظرًا ينكر، بل خشي عليه أن يئول إلى ذلك.

٩ - جواز كلام المرأة وسماع صوتها للأجانب عند الضرورة كالاستفتاء عن العلم.

١٠ - بر الوالدين والاعتناء بأمرهما والقيام بمصالحهما من قضاء دين وخدمة ونفقة وغير ذلك من أمور الدين والدنيا.

١١ - قال ابن العربي: حديث الخثعمية أصل متفق على صحته في الحج خارج عن القاعدة المستقرة في الشريعة من أن ليس للإنسان إلا ما سعى رفقا من الله تعالى في استدراك ما فرط فيه المرء بولده وماله.

١٢ - فيه صحة حج المرأة عن الرجل والرجل عن المرأة، خلافا لمن منع حج المرأة عن الرجل معللا أن حج المرأة غالبا ما يعتريه النقص وأنها تلبس ولا يلبس، فقد أباح النبي ﷺ للمرأة السائلة أن تحج عن أبيها.

١٣ - فيه جواز أن يعرض الرجل ابنته على الرجل الصالح؛ وذلك لما جاء في رواية أبي يعلى لهذا الحديث بإسناد قوي - كما قال ابن حجر - عن ابن عباس عن الفضل بن عباس قال: كنت ردف النبي ﷺ وأعرابي معه بنت له حسناء فجعل الأعرابي يعرضها لرسول الله ﷺ رجاء أن يتزوجها، وجعلت ألتفت إليها، ويأخذ النبي ﷺ برأسي فيلويه...».

الاستئجار على الحج

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: في الحج عن الميت أو المعضوب بمال يأخذه، فإما أن يكون المال الذي يأخذه نفقة فهذا جائز بلا خلاف، وإما أن يكون أجرة على الحج أو جعلا، فهذا فيه نزاع بين الفقهاء، فمن أصحاب الشافعي من استحب ذلك وقال: هو من أطيب المكاسب؛ لأنه يعمل صالحًا ويأكل طيبًا، والمنصوص عن أحمد أنه قال: لا أعرف في السلف من كان يعمل هذا، وعده بدعة، وكرهه، ولم يكره إلا الإجارة والجعالة، قلت - القائل ابن تيمية -: حقيقة الأمر في ذلك أن الحاج يستحب له ذلك إذا كان مقصوده أحد شيئين: الإحسان إلى المحجوج عنه بإبراء ذمته في الفرض وهذا بمنزلة قضاء دينه كما جاء ذلك في عدة أحاديث.

فإن كان مقصود الحاج قضاء هذا الدين الواجب عن هذا فهذا محسن إليه، والله يحب المحسنين فيكون مستحبًا، وذلك يكون الباعث عليه إما رحم بينهما وإما مودة وصداقة أو إحسان له عليه يكافئه به ويأخذ من المال ما يستعين به على أداء الحج عنه بمقدار الكفاية، وكذا لو وصَّى بحجة مستحبة وأحب إيصالها إليه. ولهذا جوزنا نفقة الحج بلا نزاع.

والموضع الثاني: إذا كان الرجل مؤثرًا أن يحج محبة للحج وشوقًا إلى المشاعر، وهو عاجز فيستعين بالمال المحجوج به على الحج، وهذا قد يعطى المال ليحج به لا عن أحد، كما يعطى المجاهد المال يغزو به، فلا شبهة فيه، فيكون لهذا أجر الحج ببدنه ولهذا أجر الحج بماله، كما في الجهاد فإنه «من جهز غازيًا فقد غزا»، وقد يعطى المال ليحج به عن غيره، وهذا أيضا إنما يأخذ ما ينفقه في الحج كما لا يأخذ إلا ما ينفقه في الغزو. قال: فهاتان صورتان مستحبتان، وهما الجائزتان من أن يأخذ نفقة الحج ويرد الفضل - أي الزيادة -.

وأما إذا كان قصده الاكتساب بذلك فهو صورة الإجارة والجعالة، والصواب أن هذا ليس مستحبًا، وإن قيل بجوازه؛ لأن العمل المعمول للدنيا ليس بعمل صالح في نفسه إذا لم يقصد به إلا المال فيكون من نوع المباحات، ومن أراد الدنيا بعمل الآخرة فليس له في الآخرة من خلاق. [انتهى بتصرف واختصار من مجموع الفتاوى جـ٢٦ ص١٤ وما بعدها]

نسأل الله تعالى أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

سُبُل الشيطان لإهلاك الإنسان

الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرًا، والصلاة والسلام على عبده ومصطفاه، نبينا محمد وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن الشيطان- منذ أن طرده الله من رحمته ولعنه بسبب رفضه السجود لآدم عليه السلام- دائمًا يتربص ببني آدم بالمرصاد، ويحاول بشتى السُّبل أن يصدهم عن طريق الرحمن ليكونوا معه في نار جهنم، أعاذنا الله منها، ووسائل الشيطان لإضلال بني آدم كثيرة يمكن أن نوجزها فيما يلي:

إعداد / صلاح نجيب الدق

أولاً: دعوة الإنسان إلى الشرك بالله تعالى:

إن الشيطان يدعو الإنسان في كل مكان وزمان إلى الكفر والشرك بالله تعالى، فإذا نجح في ذلك واستجاب له ابن آدم، استراح منه الشيطان وجعله جندًا من جنوده ثم يتبرأ منه يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

عقوبة الشرك بالله تعالى:

إن إيقاع الإنسان في الشرك بالله تعالى هو أعظم غايات الشيطان؛ لأنه يعلم أن الله لا يغفر للمشرك إذا مات على شركه، وهذا واضح في كثير من آيات القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

ويحرص الشيطان على إيقاع الإنسان في الشرك بالله تعالى؛ لأنه يعلم أن الشرك يُحبط جميع الأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥- ٦٦].

ثانيًا: إيقاع المسلم في البدعة في الدين:

إذا فشل الشيطان في إيقاع الإنسان في الشرك فإنه يدعوه إلى الابتداع في الدين، ولذا يجب على المسلم أن يعرف الفرق بين السنة والبدعة.

السنة: كل ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير. [علم أصول الفقه لخلاف ص٣٦]

وهذه السنة المباركة أمرنا الله تعالى باتباعها وحذرنا من مخالفتها قدر استطاعتنا، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، قال جل شأنه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر:٧].

وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].

البدعة: طريقة في الدين مُخْترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه. [الاعتصام للشاطبي ج١ ص٢٨]

التحذير من الابتداع في الدين:

قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣].

روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». [البخاري ٢٦٩٧، ومسلم ١٧١٨]

وروى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة». [مسلم: ٨٦٧]

روى الترمذي عن العرباض بن سارية رضي الله عنهما قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب. فقلنا: يا رسول الله، إن هذه لموعظة مودع، فماذا تعهد إلينا، قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدًا حبيشًا، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة».

[حديث صحيح. صحيح الترمذي للألباني ح٢١٥٧]

روى الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من رغب عن سنتي فليس مني». [البخاري ٥٠٦٣، ومسلم ١٤٠١]

ثالثًا: تزيين فعل الكبائر:

إذا عجز الشيطان عن إيقاع المسلم في طريق البدع ووجده يسلك سبيل أهل السنة والجماعة، فإنه ينتقل إلى دعوة الإنسان إلى ارتكاب الكبائر باختلاف أنواعها، ويحرص الشيطان على أن يوقع الإنسان المسلم فيها، خاصة إذا كان عالمًا متبوعًا، حتى ينشر ذنوبه ومعاصيه بين الناس، وذلك لينفر الناس عنه وعن الانتفاع بعلمه.

[التفسير القيم لابن القيم ص٦١٣]

تعريف الكبيرة:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب.

وقال الحسن البصري: كل موجبة في القرآن كبيرة.

وقال سعيد بن جبير: كل ذنب نسبه الله إلى النار فهو من الكبائر.

وقال الضحاك بن مزاحم: الكبائر كل موجبة، أوجب الله لأهلها النار، وكل عمل يُقام به الحد فهو من الكبائر. [تفسير ابن جرير الطبري ج٥ ص٤١، ٤٢]

التحذير من الكبائر:

قال تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا ﴾ [النساء: ٣١]، قال الذهبي: «تكفل الله تعالى بهذا النص لمن اجتنب الكبائر أن يدخله الجنة».

[الكبائر للذهبي ص١]

وقال سبحانه: ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ﴾ [النجم:٣٢].

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر». [مسلم- كتاب الطهارة حديث ١٦]

رابعًا: إغراقه الإنسان في فعل الصغائر:

إذا يئس الشيطان من إيقاع الإنسان في ارتكاب الكبائر، فإنه يدعوه إلى ارتكاب الصغائر التي إذا اجتمعت على الإنسان ربما أهلكته.

[التفسير القيم ص٦١٣]

روى ابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «يا عائشة، إياك ومُحقرات الأعمال، فإن لها من الله طالبًا».

[صحيح ابن ماجه ٣٤٢١]

وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد إذا أخطأ، نكتت في قلبه نكتةٌ سوداء، فإذا نزع واستغفر وتاب

صُقِل قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه، وهو الران الذي ذكر الله: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾» [صحيح الترمذي ٢٦٥٤]

قال ابن حجر العسقلاني: رُوي عن أسد بن موسى، في الزهد، عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: «إن الرجل ليعمل الحسنة فيثق بها وينسى المحقرات، فيلقى الله وقد أحاطت به، وإن الرجل ليعمل السيئة فلا يزال مشفقًا حتى يلقى الله آمنًا».

قال ابن بطال: المحقرات إذا كثرت صارت كبارًا مع الإصرار. [فتح الباري ج١١ ص٣٣٧]

قال ابن القيم: ولا يزال الشيطان يسهل على الإنسان محقرات الذنوب حتى يستهين بها، فيكون صاحب الكبيرة الخائف منها أحسن حالاً منه.

[التفسير القيم ص٦١٣]

روى أحمد عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم ومحقرات الذنوب، فإنما مثل محقرات الذنوب كقوم نزلوا بطن واد، فجاء ذا بعود، وجاء ذا بعود حتى أنضجوا خبزهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه».

[الصحيحة ٣٨٩/١]

خامسًا: إلهاء الإنسان في الأمور المباحة:

إذا عجز الشيطان أن يوقع الإنسان في صغائر الذنوب، دعاه إلى الاشتغال بالمباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب، بل عاقبتها فوات الثواب الذي ضاع عليه باشتغاله به.

[التفسير القيم لابن القيم ص٦١٣]

سادسًا: الاشتغال بالمفضول عما هو أفضل منه:

إذا عجز الشيطان أن يشغل الإنسان بالأمور المباحة، وكان الإنسان حافظًا لوقته، شحيحًا به، يعلم مقدار أنفاسه وانقطاعها، وما يقابلها من النعيم والعذاب، حاول أن يشغله بالعمل المفضول عما هو أفضل منه، ليزيح عنه الفضيلة، ويفوته ثواب العمل الفاضل، فيأمر بفعل الخير المفضول ويحضه عليه ويحسنه له إذا تضمن ترك ما هو أفضل وأعلى منه، وقل من ينتبه لهذا من الناس، فإنه إذا رأى فيه داعيًا قويًا ومحركًا إلى نوع من الطاعة، لا يشك أنه طاعة وقربة، فإنه لا يكاد يقول: إن هذا الداعي من الشيطان، فإن الشيطان لا يأمر بخير، ويرى أن هذا خير، فيقول: هذا الداعي من الله، وهو معذور، ولم يصل علمه إلى أن الشيطان يأمر بسبعين بابًا من أبواب الخير، إما ليتوصل بها إلى باب واحد من الشر وإما ليفوِّت بها خيرًا عظيمًا من تلك السبعين بابًا وأجل وأفضل.

وهذا لا يتوصل إلى معرفته إلا بنور من الله يقذفه في قلب العبد، يكون سببه تجريد متابعة النبي ﷺ وشدة عنايته بمراتب الأعمال عند الله وأحبها إليه وأرضاها له وأنفعها للعبد وأعمها نصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولعباده المؤمنين، خاصتهم وعامتهم، ولا يعرف ذلك إلا من كان من ورثة الرسول ﷺ ونوابه في الأمة وخلفائه في الأرض، وأكثر الخلق محجوبون عن ذلك، فلا يخطر بقلوبهم، والله يمن بفضله على من يشاء من عباده. [التفسير القيم ص٦١٣، ٦١٤]

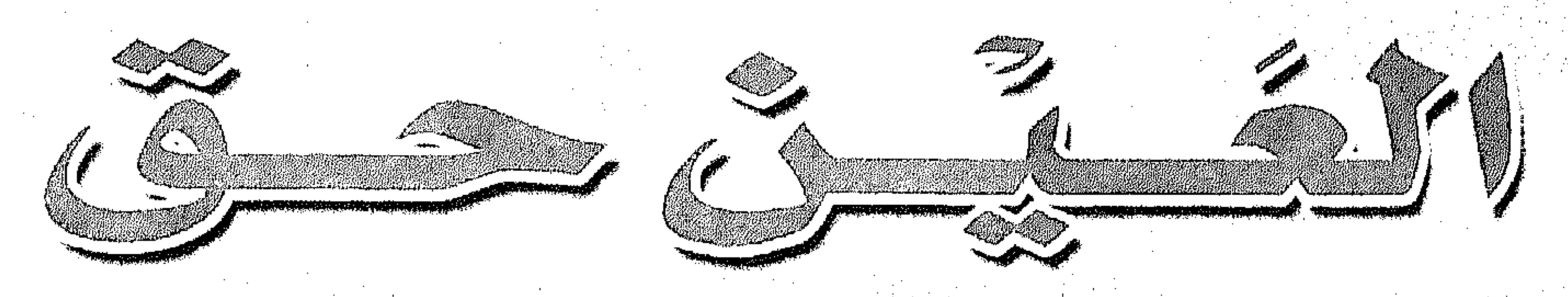
سابعًا: تسليط الإنس والجن:

إذا عجز الشيطان عن إيقاع الإنسان في واحدة مما سبق، سلط عليه حزبه من الإنس والجن بأنواع الأذى والتكفير والتضليل والتبديع، والتحذير منه، وقصد إخماله وإطفاءه ليشوش عليه قلبه، ويشغل بحربه فكره، وليمنع الناس من الانتفاع به فيبقى سعيه في تسليط المبطلين من شياطين الإنس والجن عليه لا يفتر.

فحينئذ يلبس المؤمن لأْمَةَ الحرب ولا يضعها عنه إلى الموت، ومتى وضعها أُسِرَ وأُصِيبَ فلا يزال في جهاد حتى يلقى الله.

[التفسير القيم لابن القيم ص٦١٤]

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد.



العين حق

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد ورد سؤال إلى اللجنة الدائمة للإفتاء بالسعودية عن حقيقة العين أو الحسد ومشروعية الرقية منه، وإليك نص السؤال والفتوى:

ما حقيقة العين- النضل- قال تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾، وهل حديث الرسول ﷺ صحيح والذي ما معناه قوله: «ثلث ما في القبور من العين»؟ وإذا شك الإنسان في حسد أحدهم فماذا يجب على المسلم فعله وقوله؟ وهل في أخذ غسالة الناضل للمنضول ما يشفي؟ وهل يشربه أو يغتسل به؟

الجواب: العين مأخوذة من عان يعين إذا أصابه بعينه، وأصلها من إعجاب العائن بالشيء ثم تتبعه كيفية نفسه الخبيثة ثم تستعين على تنفيذ سهمها بنظرها إلى المعين، وقد أمر الله نبيه محمدًا ﷺ بالاستعاذة من الحاسد فقال تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾، فكل عائن حاسد وليس كل حاسد عائنًا، فلما كان الحاسد أعم من العائن كانت الاستعاذة منه استعاذة من العائن وهي سهام تخرج من نفس الحاسد والعائن نحو المحسود والمعين تصيبه تارة وتخطئه تارة، فإن صادفته مكشوفًا لا وقاية عليه أثرت فيه وإن صادفته حذرًا شاكي السلاح لا منفذ فيه للسهام لم تؤثر فيه وربما ردت السهام على صاحبها. [من زاد المعاد بتصرف]

وقد ثبتت الأحاديث عن النبي ﷺ في الإصابة بالعين، فمن ذلك ما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يأمرني أن استرقي من العين». [البخاري: ٢٣/٧، ومسلم: ١٨٤/١٤]

وأخرج مسلم وأحمد والترمذي وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلوا». [مسلم: ١٧١/١٤، والترمذي: ٣٩٧/٤]

وأخرج أحمد والترمذي وصححه عن أسماء بنت عميس أنها قالت: يا رسول الله، إن بني جعفر تصيبهم العين، أفنسترقي لهم؟ قال: «نعم فلو كان شيء سابق القدر لسبقته العين».

[الترمذي ٣٩٥/٤، وابن ماجه ١١٦٠/٢]

وروى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان يؤمر العائن فيتوضأ ثم يغسل منه المعين».

[أبو داود: ٢١٠/٤]

وأخرج أحمد ومالك والنسائي وابن حبان وصححه عن سهل بن حنيف: «أن النبي ﷺ خرج وسار معه نحو مكة حتى إذا كانوا بشعب الخرار من الجحفة اغتسل سهل بن حنيف وكان رجلاً أبيض حسن الجسم والجلد، فنظر إليه عامر بن ربيعة أحد بني عدي بن كعب وهو يغتسل فقال: ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة، فلبط سهل، فأتى رسول الله ﷺ فقيل: يا رسول الله، هل لك في سهل والله ما يرفع رأسه، قال: «هل تتهمون فيه من أحد؟» قالوا: نظر إليه عامر بن ربيعة، فدعا رسول الله ﷺ عامرًا فتغيظ عليه، وقال: «علام يقتل أحدكم أخاه، هلا إذا رأيت ما يعجبك بَرَّكْتَ؟». ثم قال له: «اغتسل له» فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره في قدح ثم صب ذلك الماء عليه يصبه رجل على رأسه وظهره من خلفه ثم يكفأ القدح وراءه، ففعل به ذلك، فراح سهل مع الناس ما به بأس.

فالجمهور من العلماء على إثبات الإصابة بالعين للأحاديث المذكورة وغيرها ولما هو مشاهد وواقع، وأما الحديث الذي ذكرته «ثلث ما في القبور من العين». فلا نعلم صحته، ولكن ذكر صاحب نيل الأوطار أن البزار أخرج بسند حسن عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أكثر من يموت من أمتي بعد قضاء الله وقدره بالأنفس». [السنة لابن أبي عاصم: ١٣٦/١]. يعني بالعين. ويجب على المسلم أن يحصن نفسه من الشياطين من مردة الجن والإنس بقوة الإيمان بالله واعتماده وتوكله عليه ولجئه وضراعته إليه، والتعوذات النبوية وكثرة قراءة المعوذتين وسورة الإخلاص وفاتحة الكتاب وآية الكرسي، ومن التعوذات «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق»، و«أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون». وقوله تعالى: ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾، ونحو ذلك من الأدعية الشرعية وهذا هو معنى كلام ابن القيم المذكور في أول الجواب.

وإذا علم أن إنسانًا أصابه بعينه أوشك في إصابته بعين أحد فإنه يؤمر العائن أن يغتسل لأخيه فيحضر له إناء به ماء فيدخل كفه فيه فيتمضمض ثم يمجه في القدح ويغسل وجهه في القدح ثم يدخل يده اليسرى فيصب على ركبته اليمنى في القدح ثم يدخل يده اليمنى فيصب على ركبته اليسرى ثم يغسل إزاره ثم يصب على رأس الذي تصيبه العين من خلفه صبة واحدة فيبرأ بإذن الله. وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.



٦٦١- «احْتَجَم النبيُّ ﷺ وَهُو مُحْرِمٌ بِلَحْيِ(١) جَمَل، في وَسَطِ رَأسِهِ».
[متفق عليه من حديث ابن بُحينة]

٦٦٢- عن ابن عباس قال: بَيْنَمَا رَجُلٌ واقِفٌ بَعَرَفَةَ، إذْ وَقَعَ عن راحلتِهِ فَوَقَصتْه(٢)، أَوْ قَالَ: فَأَوْقَصَتهُ؛ قَالَ النبيُّ ﷺ: «اغسِلُوهُ بِمَاءٍ وسِدْرٍ، وَكَفنوهُ في ثَوبينِ وَلاَ تُحنِّطوهُ، ولا تُخَمِّروا رأسُه، فإنَّه يُبعثُ يومَ القيامةِ مُلَبيًا». [متفق عليه من حديث ابن عباس]

٦٦٣- دَخَلَ رسول اللَّهِ ﷺ على ضُبَاعَةَ بنتِ الزُّبيرِ فقالَ لهَا: «لَعَلَّكِ أَرَدتِ الحجَّ». قالت: واللَّهِ مَا أَجِدُنِي إلا وَجِعَةً. فقال لها: «حُجِّي واشْتَرِطي، قولي: اللهم مَحِلِّي حيثُ حَبستني».
[متفق عليه من حديث عائشة]

٦٦٤- عن عائشةِ قالت: خَرَجنَا لاَ نَرَى إلاَّ الحجَّ، حتَّى إذا كُنَّا بِسَرِف(٣) حِضْتُ فَدَخَلَ عليَّ النبيُّ ﷺ وأنا أبكي، قال: «مَا لَك، أَنُفِسْتِ؟» -يعني الحيضة- قلتُ: نَعَمْ. قال: «إنَّ هَذَا أمرٌ كَتَبَهُ اللَّهُ على بناتِ آدَمَ فاقْضِي مَا يَقْضِي الحاجُّ غيرَ أنْ لا تَطُوفي بالبيتَ». وضحَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ عن نسائِهِ بالبَقَر. [متفق عليه من حديث عائشة]

٦٦٥- عن عبدِ الرحمنِ بن أبي بكرٍ قال: إنَّ النبيَّ ﷺ أَمَرَهُ أَنْ يُرْدِفَ عائشةَ وَيُعْمِرَها من التَّنْعيم. [متفق عليه من حديث عبد الرحمن].

٦٦٦- عَن محمَّد بنِ أبي بكرِ الثَّقَفِيِّ، قال: سَألت أَنَسًا، ونحنُ غاديانِ مِنْ مِنًى إلى عرفاتٍ عن التَّلْبيةِ كيف كنتم تصنعُونَ مع النبيِّ ﷺ؟ قال: «كَانَ يُلبِّي المُلَبِّي لا يُنْكرُ عليه، ويكبِّر المُكبِّرُ فلا يُنْكرُ عليه».
[متفق عليه من حديث محمد بن أبي بكر]

٦٦٧- استأذن العباسُ بْنُ عبدِ المطلبِ رسولَ اللَّهِ ﷺ أنْ يَبيتَ بمكة لَيالِي مِنىً مِن أجلِ سِقايةٍ، فأذِنَ له». [متفق عليه من حديث ابن عمر]

٦٦٨- عن ابن عباسٍ قال: «لَيْسَ التحصيبُ بشيءٍ إنَّما هُوَ منزلٌ نَزَلَهُ رسولُ اللَّهِ ﷺ». [متفق عليه من حديث ابن عباس]

٦٦٩- رَأَىَ النبيّ ﷺ رجُلا يسُوقُ بَدَنَةً، فقال: «ارْكَبْهَا». قال: إنَّها بَدَنَةٌ، قال: «ارْكبها». قال: «إنَّها بَدَنَةٌ». قال: «ارْكبها» ثلاثًا. والبدنة هي الناقة.
[متفق عليه من حديث أنس]

٦٧٠- «كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يأتي قِباءَ رَاكِبًا وماشِيًا».
[متفق عليه من حديث ابن عمر]

٦٧١- نَهَى رسول الله ﷺ، عَنْ مُتعةِ النِّسَاءِ يومَ خَيْبر، وعن أكل الحُمُر الإنسية.
[متفق عليه من حديث علي]



٦٧٢- عن عائشة قالت: دَخَلَ عليَّ النبيُّ ﷺ وعندي رَجُلٌ، قال: «يَا عائشةُ، مَن هذا؟» قُلْتُ: أخي مِن الرضاعةِ. قال: «يَا عائشةُ، انْظُرْنَ مَن إخوانُكُنَّ، فإنَّما الرضاعةُ مِن المَجَاعَةِ». [متفق عليه من حديث عائشة]

٦٧٣- «الْوَلَدُ لِصَاحِبِ الفِرَاش». [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٦٧٤- «المرأةُ كالضِّلَعِ إنْ أقمتَهَا كَسَرْتَهَا، وإن استَمْتَعتَ بها استَمتعْتَ بها وفيها عِوَجٌ». [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٦٧٥- عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ، قال: أصبنا سَبْيًا فكنَّا نَعْزِلُ، فسألنَا رسولَ اللَّهِ ﷺ فقال: «أَوَ إنَّكُمْ لَتَفْعَلُونَ؟». قالَها ثلاثًا: «مَا مِن نَسَمَةٍ كائنةٍ إلى يَوْمِ القيامةِ إلا هي كائنةٌ».
[متفق عليه من حديث أبي سعيد]

٦٧٦- عن أنسٍ قال: «ما أَوْلَمَ النبيُّ ﷺ، على شيءٍ من نسائِهِ مَا أَوْلَمَ على زَيْنَبَ؛ أَوْلَمَ بِشَاةٍ».
[متفق عليه من حديث أنس]

٦٧٧- «مَنْ كانَتْ لَهُ جاريةٌ فَعَالَهَا فَأَحْسَنَ إليها، ثُمَّ أَعْتَقَهَا وتزوجَهَا، كانَ لهُ أجرانِ».
[متفق عليه من حديث أبي موسى]

٦٧٨- عن أنس قال: «إن رسولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ عامَ الفَتْحِ وَعَلَى رأسهِ المِغْفَرُ، فَلَمَّا نَزَعَهُ جَاءَ رجلٌ فقال: إنَّ ابنَ الأخطلِ مُتعلقٌ بأستارِ الكعبةِ. فقال: اقْتُلُوهُ».
[متفق عليه من حديث أنس]

٦٧٩- عن أبي هريرةَ قال: إنَّ أَبَا بكرٍ الصديقَ بَعَثَهُ في الحَجَّةِ التي أَمَّرَهُ عليها رسولُ اللهِ ﷺ قبلَ حَجَّةِ الوداعِ يومَ النحرِ، في رهطٍ يؤذنُ في الناسِ: ألا لا يحجَّ بعدَ العامِ مُشركٌ، ولا يَطُوفُ بالبيتِ عُرْيَانٌ.
[متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٦٨٠- عن ابنِ عُمرَ قال: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أَنَاخَ(٤) بالبطحاءِ بذي الحُلَيْفَةِ فَصَلَّى بِهَا وكان عبدُ اللهِ بنُ عمرَ يفعلُ ذلك.
[متفق عليه من حديث ابن عمر]

٦٨١- عن ابنِ عُمرَ رضيَ الله عنهما قال: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كانَ إذا قَفَلَ(٥) مِن غزوٍ أو حجٍّ أو عمرةٍ يُكبِّرُ على كُلِّ شَرَفٍ(٦) مِنِ الأرضِ ثلاثَ تكبيراتٍ، ثم يقولُ: «لا إله إلا الله، وحدهُ لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، آيبونَ(٧) تائبونَ عابدونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صَدَقَ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الأحزابَ وَحْدَهُ».
[متفق عليه من حديث ابن عمر]

٦٨٢- «دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نَهيتُكُم عن شيءٍ فاجْتَنِبُوهُ، وإذا أمَرْتُكُمْ بأمرٍ فأْتُوا مِنه ما اسْتطعتُم».
[متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٦٨٣- عن عُرْوَةَ قال: سُئِلَ أُسامةُ وأنا جالسٌ، كيف كَانَ رسولُ اللهِ ﷺ يَسِيرُ في حَجَّةِ الوَدَاعِ حينَ دَفَعَ(٨)؟ قال: كَانَ يسيرُ العَنَقَ(٩)، فإذا وَجَدَ فَجوةً(١٠) نصَّ(١١).

٦٨٤- «مَنْ شَرِبَ الخَمْرَ في الدُّنْيا، ثُمَّ لَمْ يَتُبْ مِنها، حُرِمَهَا في الآخرةِ».
[متفق عليه من حديث ابن عمر]

٦٨٥- «لاَ تَتْرُكُوا النَّارَ في بيوتكُم حينَ تَنَامُونَ».
[متفق عليه من حديث ابن عمر]

٦٨٦- عن عُمرَ بن أبي سَلَمَةَ قال: كُنْتُ غُلامًا في حَجْرِ(١٢) رسولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ في الصَّحْفَةِ، فقال لي رسولُ اللهِ ﷺ: «يا غُلامُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بيمينِكَ، وكُلْ مما يَلِيكَ». فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ.
[متفق عليه من حديث عمر بن أبي سلمة]

٦٨٧- عن أبي هريرةَ قال: أُتِيَ رسولُ اللهِ ﷺ ليلةَ أُسْرِيَ بِهِ بإيلياءَ(١٣) بقَدَحَينِ مِن خمرٍ ولبنٍ فَنَظَرَ إليهمَا، فأخذَ اللبنَ. قال جبريلُ: الحمدُ للهِ الذي هَدَاكَ للفطرةِ، لَوْ أخذتَ الخمرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ.
[متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٦٨٨- عن أبي موسى قال: احْتَرَقَ بيتٌ بالمدينةِ على أهلهِ مِن الليلِ فحُدث بشأنهم النبيُّ ﷺ، قال: «إنَّ هذه النَّارَ إنَّما هي عَدُوٌّ لكم، فإذا نِمْتُمْ فأطْفِئُوهَا عَنْكُمْ».
[متفق عليه من حديث أبي موسى]

٦٨٩- عَن عمرانَ بن حصينٍ قال: قال رَجُلٌ: يا رسولَ اللَّه، أَيُعْرَفُ أهلُ الجنةِ مِنْ أهلِ النَّارِ؟ قال: «نَعَمْ». قال: فَلِمَ يَعْمَلُ العَامِلُونَ؟ قال: «كُلٌّ يعملُ لِما خُلِقَ لهُ، أَوْ لِما يُسِّرَ لَهُ».
[متفق عليه من حديث عمران بن حصين]

٦٩٠- كَانَ النبيُّ ﷺ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعاءِ: «ربِّ اغفرْ لي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي وإسرافي في أمري كُلِّه، وما أنتَ أعلمُ بِهِ مِنِي، اللهمّ اغْفِرْ لي خَطَايَايَ وَعَمْدِي، وَجَهْلِي وَهَزْلِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللهمَّ اغْفِرِ لي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أسررتُ وَمَا أعلنتُ، أنت المُقَدِّمُ، وأنت المُؤَخِّرُ وأنتَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ».
[متفق عليه من حديث أبي موسى]

---

(١) بلحى جمل: اسمُ موضعٍ بين مكة والمدينة، وهو إلى المدينة أقرب.
(٢) فوقصته: أي كسرت عنقه.
(٣) بسرف: موضع على عشرة أميال من مكة.
(٤) أناخ: أبرك راحلته.
(٥) قفل: رجع.
(٦) شرف: مكان عالٍ.
(٧) آيبون: نحن راجعون إلى الله.
(٨) دفع: أي انصرف من عرفات إلى المزدلفة.
(٩) يسير العنق: السير بين الإبطاء والإسراع.
(١٠) فجوة:
(١١) نص: أي سار سيرًا شديدًا يبلغ به الغاية.
(١٢) حَجْر: أي يربيه تحت نظره.
(١٣) إيلياء: بيت المقدس.

سد الذرائع في الأعمال

الحلقة الخامسة

إعداد
د. عبد الله شاكر الجنيدي
نائب الرئيس العام

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد نهى الشارع عن الشرك في الألفاظ وسدَّ كل الوسائل المؤدية إليه، كذلك نهى أيضًا وحذر من الوسائل المفضية إلى الشرك في الأعمال، ويظهر ذلك في الصور التالية:

أ- النهي عن التمائم:

التمائم: جمع تميمة، وهي خرزات كان العرب يعلقونها على أولادهم يتقون بها العين في زعمهم، فأبطلها الإسلام.

[النهاية في غريب الحديث ١/١٩٧]

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك».

[أبو داود: ١٠/٣٦٧، وابن ماجه ٢/١١٦٧، وأحمد ١/٣٨١]

وقد اختلف العلماء في التمائم إذا كانت من القرآن الكريم، فأباحها البعض كالرقى الشرعية، ومنعها آخرون سدًا لذريعة الوقوع في الشرك، ومن هؤلاء ابن مسعود وابن عباس وغيرهم.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتابه «التوحيد»: «التمائم شيء يعلق على الأولاد عن العين، لكن إذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه وجعله من المنهي عنه منهم ابن مسعود رضي الله عنه».

قال شارحه: «هذا هو الصحيح- أي النهي عن تعليق التمائم من القرآن- لوجوه ثلاثة تظهر للمتأمل:

الأول: عموم النهي ولا مخصص للعموم.

الثاني: سد الذريعة، فإنه يفضي إلى تعليق ما ليس كذلك.

الثالث: أنه إذا علق فلابد أن يمتهنه المعلَّق بحمله معه في حال قضاء الحاجة والاستنجاء ونحو ذلك.

[فتح المجيد: ١٣٢، ١٣٣]

وقال الشيخ حافظ الحكمي:

وفي التمائم المعلقات
إن تك آيات مبينات
فالاختلاف واقع بين السلف
فبعضهم أجازها والبعض كف

ثم ذكر بعض أسماء المانعين والمبيحين وعقب بقوله: «ولا شك أن منع ذلك سد لذريعة الاعتقاد والمحظور، لا سيما في زماننا هذا، فإنه إذا كرهه أكثر الصحابة والتابعين في تلك العصور الشريفة، والإيمان في قلوبهم أكبر من الجبال، فلأن يكره في وقتنا هذا - وقت الفتن والمحن - أولى وأجدر بذلك».

[معارج القبول: ١/٤٦٩، ٤٧٠]

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز: «واختلف العلماء في التمائم إذا كانت من القرآن أو من الدعوات المباحة، هل هي محرمة أم لا؟ والصواب تحريمها؛ لوجهين:

أحدهما: عموم الأحاديث المذكورة، فإنها تعم التمائم من القرآن وغير القرآن.

والوجه الثاني: سد ذريعة الشرك، فإنها إذا أبيحت التمائم

من القرآن اختلطت بالتمائم الأخرى واشتبه الأمر، وانفتح باب الشرك بتعليق التمائم كلها، ومعلوم أن سد الذريعة المفضية إلى الشرك والمعاصي من أعظم القواعد الشرعية. والله ولي التوفيق.

[فتاوى الشيخ ابن باز ١/٢٧٩]

وعلى ذلك فتعليق التمائم ينهى عنه بإطلاق سدًا للذريعة في ذلك التي منها تعليق ما ليس من القرآن، وتعظيمًا لكلمات الله وآياته من امتهانها أثناء قضاء الحاجة وغير ذلك، خاصة في هذا الزمان الذي كثرت فيه البدع وانتشر أهل الخرافة والدجل والمشعوذون وغلب الجهل على كثيرين.

قال الشيخ الألباني بعد ذكره لتعريف التميمة: «ولا تزال هذه الضلالة فاشية بين البدو والفلاحين وبعض المدنيين، ومثلها الخرزات التي يضعها بعض السائقين أمامهم في السيارة- يعلقونها على المرآة وبعضهم يعلق نعلاً في مقدمة السيارة أو في مؤخرتها، وغيرهم يعلقون نعل فرس في واجهة الدار أو الدكان، كل ذلك لدفع العين زعموا، وغير ذلك مما عم وطم بسبب الجهل بالتوحيد وما ينافيه من الشركيات والوثنيات التي ما بعثت الرسل وأنزلت الكتب إلا من أجل إبطالها والقضاء عليها». [السلسلة الصحيحة ١/٨١٠]

ب- النهي عن انحناء الرجل للرجل أو القيام له:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «قال رجل: يا رسول الله، الرجل منا يلقى أخاه، أو صديقه، أينحني له؟ قال: لا، قال: فيلتزمه ويقبله. قال: لا، قال: فيأخذ بيده ويصافحه، قال: نعم».

[الترمذي: ٧/٥١٤، وابن ماجه ١٥/١٢٢٠، وأحمد ٣/١٩٨]

قال ابن القيم: «إن النبي ﷺ نهى الرجل أن ينحني للرجل إذا لقيه كما يفعل كثير من المنتسبين إلى العلم ممن لا علم له بالسنة بل يبالغون إلى أقصى حد الانحناء مبالغة في خلاف السنة جهلاً، حتى يصير أحدهم بصورة الراكع لأخيه، ثم يرفع رأسه من الركوع كما يفعل إخوانهم من السجود بين يدي شيوخهم الأحياء والأموات، فهؤلاء أخذوا من الصلاة سجودها، وأولئك ركوعها، وطائفة ثالثة قيامها، يقوم عليهم الناس وهم قعود كما يقومون في الصلاة، فتقاسمت الفرق الثلاث أجزاء الصلاة، والمقصود أن النبي ﷺ نهى عن انحناء الرجل لأخيه سدًا لذريعة الشرك، كما نهى عن السجود لغير الله».

[إعلام الموقعين ٣/١٦٦، ١٦٧]

تنبيه: جاء في حديث أنس السابق نهي عن الالتزام وهو المعانقة، وقد وردت عن أصحاب النبي ﷺ لقول أنس رضي الله عنه: «كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا تلاقوا تصافحوا، وإذا قدموا من سفر تعانقوا».

[ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/٣٦]

وعانق عبد الله بن أنيس جابر بن عبد الله رضي الله عنهما لما رحل إليه من المدينة إلى الشام ليسأله عن حديث لرسول الله ﷺ.

[البخاري ٢/٤٥٨]

وقد جمع العلماء بين هذه الأحاديث، ودفعوا التعارض الظاهر بينها، ومنهم الإمام البغوي، وفي ذلك يقول: «قال حميد بن زنجويه: قد جاء عن النبي ﷺ أنه نهى عن المعانقة والتقبيل، وجاء أنه عانق جعفر بن أبي طالب وقبله عند قدومه من أرض الحبشة، ولكل وجه عندنا، فأما المكروه من المعانقة والتقبيل، فما كان على وجه الملق والتعظيم وفي الحضر، فأما المأذون فيه، فعند التوديع وعند القدوم من السفر وطول العهد بالصاحب، وشدة الحب في الله ومن قبَّل فلا يقبل الفم، ولكن اليد والرأس والجبهة».

[شرح السنة للبغوي ١٢/٢٩٢، ٢٩٣]

وقال الشيخ الألباني عقب ذكره لبعض أحاديث النهي وأحاديث الإباحة: «فيمكن أن يقال: إن المعانقة في السفر مستثنى من النهي لفعل الصحابة ذلك». [سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/٢٥٢]

وكما نهى ﷺ عن الانحناء سدًا للذريعة، كره أن يقوم الناس له، وقد ذكر وعيدًا شديدًا لمن يحب أن يتمثل الناس له قيامًا.

فعن أنس رضي الله عنه قال: «ما كان في الدنيا شخص أحب إليهم رؤية من رسول الله ﷺ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا إليه، لما يعلمون من كراهيته لذلك». [البخاري ٢/٤١٩، والترمذي ٨/٢٩]

وعن أبي مجلز قال: «خرج معاوية فقام عبد الله بن الزبير وابن صفوان حين رأوه، فقال: اجلسا، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سره أن يتمثل له الرجال قيامًا فليتبوأ مقعده من النار». قال الترمذي: «وفي الباب عن أبي أمامة، وهذا حديث حسن». [سنن الترمذي ٨/٣٠]

ولا يتعارض النهي عن القيام هنا مع قول النبي ﷺ لما قدم سعد بن معاذ إلى بني قريظة ليحكم فيهم: «قوموا إلى سيدكم». [البخاري ١١/٢٩] للفرق بين الحالين، وقد وضح ذلك ابن تيمية رحمه الله وفصله تفصيلاً دقيقًا فقال: «لم تكن عادة السلف على عهد النبي ﷺ وخلفائه

الراشدين أن يعتادوا القيام كلما يرونه كما يفعله كثير من الناس، بل قد قال أنس بن مالك: لم يكن شخص أحب إليهم من النبي ﷺ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له، لما يعلمون من كراهيته لذلك، ولكن ربما قاموا للقادم من مغيبه تلقيًا له، كما روى عن النبي ﷺ أنه قام لعكرمة وقال للأنصار لما قدم سعد بن معاذ: قوموا إلى سيدكم، وكان قد قدم ليحكم في بني قريظة، وأما القيام لمن يقدم من سفر ونحو ذلك تلقيًا له فحسن، وإذا كان من عادة الناس إكرام الجائي بالقيام ولو ترك لاعتقد أن ذلك لترك حقه، أو قصد خفضه، ولم يعلم العادة الموافقة للسنة، فالأصلح أن يقام له، لأن ذلك أصلح لذات البين وإزالة التباغض والشحناء، وأما من عرف عادة القوم الموافقة للسنة، فليس في ترك ذلك إيذاء له، وليس هذا القيام المذكور في قوله: «من سره أن يتمثل له الرجال قيامًا فليتبوأ مقعده من النار». فإن ذلك أن يقوموا له وهو قاعد، ليس هو أن يقوموا لمجيئه إذا جاء، ولهذا فرقوا بين أن يقال: قمت إليه وقمت له، والقائم للقادم ساواه في القيام بخلاف القائم للقاعد». [مجموع فتاوى ابن تيمية ١/٣٧٤، ٣٧٥]

كما جمع بين الأحاديث ابن القيم جمعًا حسنًا، وذكر أن الأحاديث التي ورد فيها القيام كان لعارض، وأنه كان قيامًا إلى الرجل للقائه، لا قيامًا له، ثم قال: «فالمذموم: القيام للرجل، وأما القيام إليه للتلقي إذا قدم: فلا بأس به، وبهذا تجتمع الأحاديث». [عون المعبود: ١٤/١٢٧]

قلت: هذا جمع جيد وحسن بين النصوص الثابتة، وعليه فينهى القيام للشخص للتعظيم مهما كانت منزلته سدًا لذريعة الوقوع في الشرك، بعد الغلو فيه، أو مجاوزة الحد في حبه وتعظيمه وما إلى ذلك كما هو واقع من بعض أتباع الطرق لمشايخهم، وأما القيام لعارض كالقيام للقادم من سفر، أو لغائب على سبيل البر والإكرام فلا بأس به.

وقد نقل أبو عبد الله بن الحاج عن أبي الوليد بن رشد أن القيام يقع على أربعة أوجه:

الأول: محظور، وهو أن يقع لمن يريد أن يقام إليه تكبرًا وتعاظمًا على القائمين إليه.

الثاني: مكروه، وهو أن يقع لمن لا يتكبر ولا يتعاظم على القائمين، ولكن يخشى أن يدخل نفسه بسبب ذلك ما يحذر، ولما فيه من التشبه بالجبابرة.

الثالث: جائز، وهو أن يقع على سبيل البر والإكرام لمن لا يريد ذلك، ويؤمن معه التشبه بالجبابرة.

الرابع: مندوب، وهو أن يقوم لمن قدم من سفر فرحًا بقدومه ليسلم عليه، أو إلى من تجددت له نعمة فيهنئه بحصولها أو مصيبة فيعزيه بسببها.

وقال التوربشتي في شرح المصابيح: معنى «قوموا إلى سيدكم»، أي إلى إعانته وإنزاله من دابته، ولو كان المراد التعظيم لقال: «قوموا لسيدكم».

وقال الألباني في حديث أبي مجلز: «دلنا هذا الحديث على أمرين:

الأول: تحريم حب الداخل على الناس القيام منهم له، وهو صريح الدلالة، بحيث إنه لا يحتاج إلى بيان.

والآخر: كراهة القيام من الجالسين للداخل، ولو كان لا يحب القيام، وذلك من باب التعاون على الخير، وعدم فتح باب الشر، وهذا معنى دقيق دلنا عليه راوي الحديث معاوية رضي الله عنه، وذلك بإنكاره على عبد الله بن الزبير قيامه له، واحتج عليه بالحديث، وذلك من فقهه في الدين، وعلمه بقواعد الشريعة التي منها سد الذرائع. [السلسلة الصحيحة: ١/٦٢٩]

ومن هذا الباب ما جاء في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «صلى رسول الله ﷺ في بيته وهو شاك، فصلى جالسًا، وصلى وراءه قوم قيامًا، فأشار أن اجلسوا، فلما انصرف قال: إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا ركع فاركعوا، وإذا رفع فارفعوا». [البخاري ٢/٥٨٤]

قال ابن القيم: «إن النبي ﷺ أمر المأمومين أن يصلوا قعودًا إذا صلى إمامهم قاعدًا، وقد تواتر عنه ذلك، ولم يجيء عنه ما ينسخه، وما ذاك إلا سدًا لذريعة مشابهة الكفار، حيث يقومون على ملوكهم وهم قعود». [إعلام الموقعين ٣/١٥٨]

قلت: تأمل أيها المسلم حرص الإسلام ورسول رب العالمين وسلف الأمة الصالحين على مخالفة الكفار والمشركين، ونهي الشريعة الغراء عن المباح خوفًا من الوقوع في الحرام، كل ذلك صيانة وحماية للعقيدة، وتحقيقًا للتوحيد.

فما بالنا اليوم نجد جرأة كبيرة، حتى من بعض المنتسبين إلى العلم في التساهل في هذا الباب، ويا ليت الأمر - مع خطورته - اقتصر على الجائز المؤدي إلى الحرام، بل وقعوا صراحة فيما نهى عنه الشارع الحكيم، وسقطوا في أعمال الجاهلين. فإنا لله وإنا إليه راجعون.



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد، فحديثنا في هذه الحلقة عن فضائل سورة الفاتحة، فمن ذلك أن:

سورة الفاتحة أعظم سورة في القرآن الكريم

عن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال: كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله ﷺ فلم أُجبه، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي، فقال: «ألم يقل الله: ﴿ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٤]؟ ثم قال لي: «لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد». ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج قلت له: ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن؟ قال: «الحمد لله رب العالمين، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته». [أخرجه البخاري وأحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان والدارمي والبيهقي في الشُعب]

التعليق:

قوله ﷺ: «هي السبع المثاني» أراد به فاتحة الكتاب هي سبع آيات؛ سميت الفاتحة مثاني؛ لأنها تثنى في الصلاة في كل ركعة، وقيل: سميت الفاتحة مثاني؛ لأنها استثنيت لهذه الأمة، لم تنزل على من قبلها، وقيل: سميت مثاني، لما فيها من الثناء على الله، فهي مفاعل من الثناء، والواحد مثنى، وقد وصف القرآن كله بالمثاني.

قال الله تعالى: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ ﴾ [الزمر: ٢٣]، لأن القصص والأمثال ثنيت فيه، وقد أطلق المثاني على السور التي تقصر عن المئين وتزيد على المفصل، قيل لها مثاني كأن المئين جعلت مبادي والتي تليها مثاني.

وفي الحديث دليل على جواز تفضيل بعض القرآن على بعض. قال ابن التين في الكلام على قول النبي ﷺ: «لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن»: معناه أن ثوابها أعظم من غيرها، واستدل به على جواز تفضيل بعض القرآن على بعض، وقد منع ذلك الأشعري وجماعة، لأن المفضول ناقص عن درجة الأفضل، وأسماء الله وصفاته وكلامه لا نقص فيها، وأجابوا عن ذلك بأن معنى التفاضل أن ثواب بعضه أعظم من ثواب بعض، فالتفضيل إنما هو من حيث المعاني لا من حيث الصفة، ويؤيد التفضيل قوله تعالى: ﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ

مِثْلِهَا ﴾، وقد روى ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: ﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا ﴾ أي في المنفعة والرفق والرفعة، وفي هذا تعقب على من قال: فيه تقديم وتأخير، والتقدير نأت منها بخير، وهو كما قيل في قوله تعالى: ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا ﴾، لكن قوله في آية الباب: ﴿ أَوْ مِثْلِهَا ﴾ يرجح الاحتمال الأول، فهو المعتمد، والله أعلم. [ذكره ابن حجر في الفتح]

لا شك أن المعاني تتفاوت وتتفاضل، فمعاني ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ أفضل من معاني ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾، ومعاني ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ أفضل من معاني ﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ﴾ مع أن الكل مشترك في الصفة وهي كونه كلام الله.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ في مسير له، فنزل، ونزل رجل إلى جانبه فالتفت إليه النبي ﷺ فقال: «ألا أخبرك بأفضل القرآن؟» قال: فتلا عليه: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [أخرجه النسائي في الكبرى وابن حبان والحاكم وصححه وأقره الذهبي والبيهقي في الصغرى وفي شعب الإيمان، وذكره الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ١٤٩٩، وقال: الحديث صحيح]

وعن عبد الله بن جابر رضي الله عنه قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وقد أهراق الماء (أي صبه) فقلت: السلام عليك يا رسول الله، فلم يرد عليَّ، فقلت: السلام عليك يا رسول الله، فلم يرد عليَّ. فقلت: السلام عليك يا رسول الله، فلم يرد عليَّ، فانطلق رسول الله ﷺ يمشي وأنا خلفه حتى دخل على رحله (أي منزله)، ودخلت أنا المسجد كئيبًا حزينًا، فخرج عليَّ رسول الله ﷺ وقد تطهر فقال: «عليك السلام ورحمة الله، وعليك السلام ورحمة الله، وعليك السلام ورحمة الله». ثم قال: «ألا أخبرك يا عبد الله بن جابر بخير سورة في القرآن الكريم». قلت: بلى يا رسول الله، قال: «اقرأ الحمد لله رب العالمين حتى تختمها».

[أخرجه الإمام أحمد والبيهقي في شعب الإيمان وذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة وعزاه للإمام أحمد وإسناده حسن. قال الحافظ ابن كثير بعد أن ذكر هذا الحديث: هذا إسناد جيد]

هي السبع المثاني والقرآن العظيم

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم».

[أخرجه البخاري والترمذي والحاكم والإمام أحمد والدارمي والبغوي في شرح السنة والبيهقي في الصغرى]

التعليق:

قال الإمام البخاري في صحيحه: باب ما جاء في فاتحة الكتاب، وسميت أم الكتاب؛ لأنه يبدأ بكتابتها في المصاحف، ويبدأ بقراءتها في الصلاة، قال الحافظ ابن حجر: سميت أم القرآن؛ لاشتمالها على المعاني التي في القرآن، من الثناء على الله تعالى، والتعبد بالأمر والنهي، والوعد والوعيد، وعلى ما فيها من ذكر الذات والصفات والأفعال واشتمالها على ذكر المبدأ والمعاد والمعاش.

قال الحافظ ابن كثير بعد أن ذكر هذا الحديث: هذا نص أن سورة الفاتحة هي السبع المثاني والقرآن العظيم، ولكن لا ينافي وصف غيرها من السبع الطوال بذلك، لما فيها من هذه الصفة كما لا ينافي وصف القرآن بكماله بذلك أيضًا كما قال تعالى: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ ﴾ [الزمر: ٢٣]، فهو مثاني من وجه، ومتشابه من وجه، وهو القرآن العظيم أيضًا. اهـ.

ووصف الفاتحة بأنها القرآن العظيم راجع إلى كونها سورة فيه، ولم ينزل مثلها في الكتب المنزلة.

لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور مثلها

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج على أُبيّ بن كعب فقال رسول الله ﷺ: «يا أُبيّ وهو يصلي، فالتفت أُبيٌّ ولم يجبه، وصلى أُبيّ فخفف، ثم انصرف إلى رسول الله ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: وعليك السلام، ما منعك يا أبي أن تجيبني إذ دعوتك؟» فقال: يا رسول الله، إني كنت في الصلاة، قال: «أفلم تجد فيما أوحي إليَّ: ﴿ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٤]». قال: بلى ولا أعود إن شاء الله، قال: «تحب أن أعلمك سورة لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها؟» قال: نعم يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: «كيف تقرأ في الصلاة؟» قال: فقرأ أم القرآن، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ما أنزلت في التوراة ولا في

الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها، وإنها سبع من المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته».

[أخرجه النسائي ومالك وأحمد والدارمي والحاكم والبغوي في شرح السنة والبيهقي في السنن الصغير وعبد بن حميد والطحاوي في مشكل الآثار، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبي وقال البغوي: صحيح]

التعليق:

في هذا الحديث الشريف، إرشاد للمؤمنين إلى سرعة الاستجابة لله وللرسول ﷺ لما في ذلك من الفوائد الكثيرة وأهمها: الحياة الطيبة لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٤]، وأن الاستجابة للرسول ﷺ لا تبطل الصلاة إذا كان المنادى عليه يصلي.

وفي الحديث إشارة إلى حرص أبيّ بن كعب رضي الله عنه على العلم لقوله ﷺ له: «أتحب أن أعلمك سورة». فأشار بذلك إلى أنه يعلم ما عنده من الحرص على العلم، وأن يتشوق إلى فضل ما يخبره به ويتطلع إليه حتى يكون أكثر تحصيلاً له، فقال له أبيّ: نعم يا رسول الله. وقال الخطابي: في هذا الحديث دلالة على أن الفاتحة هي القرآن العظيم، وأن الواو في قوله: «إنها السبع المثاني والقرآن العظيم»، ليست عاطفة تفصل بين شيئين وإنما هي التي تجيء بمعنى التفصيل كقوله تعالى: ﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ [الرحمن:٦٨].

الفاتحة رقية شافية بإذن الله تعالى من الأمراض

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «انطلق نفر من أصحاب النبي ﷺ في سفرة سافروها، حتى نزلوا على حي من أحياء العرب فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم، فلدغ سيد ذلك الحي، فسعوا له بكل شيء، لا ينفعه شيء، فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعله أن يكون عند بعضهم شيء. فأتوهم. فقالوا: يا أيها الرهط إن سيدنا لدغ، وسعينا له بكل شيء لا ينفعه، فهل عند أحد منكم شيء؟ فقال بعضهم: نعم والله، إني لأرقي، ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا، فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلاً، فصالحوهم على قطيع من الغنم، فانطلق يتفل عليه ويقرأ: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾، فكأنما نشط من عقال، فانطلق يمشي وما به قَلَبة. قال: فأوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه. فقال بعضهم: اقسموا، فقال الذي رقى: لا تفعلوا حتى نأتي النبي ﷺ فنذكر له الذي كان فننظر ما يأمرنا. فقدموا على رسول الله ﷺ فذكروا له، فقال: «وما يدريك أنها رقية؟» ثم قال: «قد أصبتم، اقسموا واضربوا لي معكم سهمًا، فضحك النبي ﷺ.

[أخرجه البخاري في كتاب الإجارة باب ما يعطى في الرقية على احياء العرب بفاتحة الكتاب، وكذلك أخرجه في فضائل القرآن، وأخرجه أيضًا في كتاب الطب، وأخرجه مسلم في كتاب السلام باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن، وأخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وابن الجارود في المنتقى وابن ماجه]

التعليق:

قد تكرر ذكر الرقية والرقى والاسترقاء في الحديث، والرقية: (هي تلاوة شيء من القرآن أو المأثورات ونحوها على المريض وصاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك للشفاء أو الحفظ). والرقية مشروعة بإجماع إذا تحققت فيها شروط معلومة.

قال ابن حجر في الفتح: وقد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط:

أن تكون بكلام الله تعالى وبأسمائه وصفاته وباللسان العربي وبما يعرف معناه وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بقدر الله تعالى. اهـ.

أما عن الحديث فقد قال ابن القيم رحمه الله بعد ذكره: فقد أثر هذا الدواء في هذا الداء وأزاله حتى كأنه لم يكن. وهو أسهل دواء وأيسره، ولو أحسن العبد التداوي بالفاتحة لرأى لها تأثيرًا عجيبًا في الشفاء، ومكثت بمكة مدة يعتريني أدواء (أمراض)، ولا أجد طبيبًا ولا دواء، فكنت أعالج نفسي بالفاتحة فأرى لها تأثيرًا عجيبًا، فكنت أصف ذلك لمن يشتكي ألمًا، فكان كثير منهم يبرأ سريعًا.

وقال رحمه الله في موضع آخر: «وقد قيل: إن موضع الرقية منها (أي من الفاتحة) ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾، ولا ريب أن هاتين الكلمتين من أقوى أجزاء هذا الدواء، فإن فيهما من عموم التفويض والتوكل، والالتجاء والاستعانة، والافتقار والطلب والجمع بين أعلى الغايات، وهي عبادة الرب وحده، وأشرف الوسائل وهي الاستعانة به على عبادته ما ليس في غيرها، ولقد

مر بي وقت بمكة سقمت فيه، وفقدت الطبيب والدواء، فكنت أتعالج بها، آخذ شربة من ماء زمزم، وأقرؤها عليها مرارًا، ثم أشربه فوجدت بذلك البرء التام، ثم صرت أعتمد ذلك عند كثير من الأوجاع، فانتفع بها غاية الانتفاع». اهـ.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أن نفرًا من أصحاب النبي ﷺ مروا بماء (أي بقوم نزلوا على ماء) فيهم لديغٌ أو سليمٌ (والسليم هو اللديغ؛ سمي بذلك تفاؤلاً من السلامة لكون غالب من يلدغ يعطب)، فعرض لهم رجل من أهل الماء فقال: هل فيكم راقٍ؟ إن في الماء رجلاً لديغًا أو سليمًا فانطلق رجلٌ منهم فقرأ بفاتحة الكتاب على شاءٍ فبرأ فجاء بالشاء إلى أصحابه فكرهوا ذلك وقالوا أخذت على كتاب الله أجرًا؟ حتى قدموا المدينة فقالوا: يا رسول الله، أخذ على كتاب الله أجرًا؟ فقال رسول الله ﷺ : «إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله».

[أخرجه البخاري وابن حبان والبيهقي والدارقطني]

التعليق:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: إذا ثبت أن لبعض الكلام خواصّ ومنافع فما الظن بكلام رب العالمين، ثم بالفاتحة التي لم ينزل في القرآن ولا في غيره من الكتب مثلها لتضمنها جميع معاني الكتاب، فقد اشتملت على ذكر أصول أسماء الله ومجامعها، وإثبات المعاد وذكر التوحيد والافتقار إلى الرب في طلب الإعانة به والهداية منه، وذكر أفضل الدعاء وهو طلب الهداية إلى الصراط المستقيم المتضمن كمال معرفته وتوحيده وعبادته بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه والاستقامة عليه، ولتضمنها ذكر أصناف الخلائق وقسمتهم إلى: منعم عليه لمعرفته بالحق والعمل به، ومغضوب عليه لعدوله عن الحق بعد معرفته وضال لعدم معرفته له، مع ما تضمنته من إثبات القدر والشرع والمعاد والتوبة وتزكية النفس وإصلاح القلب والرد على جميع أهل البدع.

وحقيق بسورة هذا بعض شأنها أن يستشفى بها من كل داء والله أعلم.

ويستفاد من الحديث جواز الرقية بكتاب الله، ويلتحق به ما كان بالذكر والدعاء المأثور وكذا غير المأثور مما لا يخالف ما في المأثور، وأما الرقى بما سوى ذلك فليس في الحديث ما يثبته وفيه الاجتهاد عند فقد النص، وعظمة القرآن في صدور الصحابة خصوصًا الفاتحة. وفيه أن الرزق المقسوم لا يستطيع من هو في يده منعه ممن قسم له، لأن أولئك منعوا الضيافة وكأن الله قسم للصحابة في ما لهم نصيبًا فمنعوهم فسبب لهم لدغ العقرب حتى سيق لهم ما قسم لهم، وفيه الحكمة البالغة حيث اختص بالعقاب من كان رأسًا في المنع لأن من عادة الناس الائتمار بأمر كبيرهم فلما كان رأسهم في المنع اختص بالعقوبة دونهم جزاء وفاقًا.

وقوله ﷺ : «إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله». هذا تصريح لجواز أخذ الأجرة على الرقية بالفاتحة والذكر، وأنها حلال لا كراهة فيها، وكذا الأجر على تعليم القرآن. قال الترمذي: رخص الشافعي للمعلم أن يأخذ على تعليم القرآن أجرًا ويرى له أن يشترط على ذلك واحتج بحديث أبي سعيد الخدري في الرقية بفاتحة الكتاب.

وقال الإمام الزركشي: ويجوز أخذ الأجرة على التعليم، ففي صحيح البخاري: «إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله».

إذا قرئت على من به جنون برئ بإذن الله تعالى

عن خارجة بن الصلت التميمي عن عمه أنه أتى رسول الله ﷺ فأسلم، ثم أقبل راجعًا من عنده فمر على قوم عندهم رجل مجنون موثق بالحديد، فقال أهله: إنا حُدثنا أن صاحبكم هذا قد جاء بخير، فهل عندكم شيء تَدَاوَوْنه؟ فرقيته بفاتحة الكتاب فبرأ، فأعطوني مائة شاة، فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: «هل قلت إلا هذا؟» قلت: لا. قال: «خذها فلعمري لمن أكل برقية باطل، لقد أكلت برقية حق». [أخرجه أبو داود والنسائي وأحمد وابن حبان والحاكم وصححه وأقره الذهبي]

التعليق:

فقوله: «فلعمري لمن أكل برقية باطل» أي من الناس من يأكل برقية باطل كذكر الكواكب والاستعانة بها وبالجن: «لقد أكلت برقية حق»، أي بذكر الله تعالى وكلامه، وإنما حلف بعمره لما أقسم الله به حيث قال: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر:٧٢]. قال الطيبي: لعله كان مأذونًا بهذا الإقسام وأنه من خصائصه ﷺ ، وقد أقسم الله تعالى بحياته وما أقسم بحياة أحد قط كرامة له ﷺ .

والحمد لله رب العالمين

السنّة النبوية وأثرها

الحمد لله العزيز العليم، التواب الرحيم، يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، ويضل من يشاء بعدله وحكمته وعلمه، أحمد ربي وأشكره على فضله العميم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، العلي العظيم، وأشهد أن نبينا وسيدنا محمدًا عبده ورسوله، المبعوث بالهدي القويم، اللهم صلّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه ذوي الخلق الكريم.

إنّ الله تفضل وتكرّم على الخلق ببعثة سيد ولد آدم محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، فالمسلمُ مرحومٌ رحمةً خاصة برسالة محمد ﷺ؛ لأنه آمن بها واتّبعها وعمل بها، والكافر مرحومٌ رحمةً عامة برسالة الإسلام؛ لأن تمسك المسلمين بدينهم وتطبيقهم لتعاليمه، يخفف الله به شر الكافرين، ويخفف الله به منابع فساد المفسدين، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتْ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة:٢٥١].

وقد أنزل الله على نبيّه أعظمَ كتاب، وأنزلَ عليه أعظمَ تفسيرٍ للقرآن الكريم وهو السنّة النبويّة، وحفِظَ الله القرآن والسنة من التغيير والتّبديل، وحفظهما من فاسدِ الآراء والتأويل الباطل، وأقام الله الحجّةَ على العالمين بسيِّد المرسَلين عليه أفضل الصلاة والتسليم، وهدَى الله نبينا محمَّدًا ﷺ إلى أحسَن الهَدي، ويسَّره لأحسنِ السّبل وأسهل المناهج، قال الله تعالى لنبيّه: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ [الأعلى:٨]، وروى مسلمٌ من حديث جابر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «إن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلُّ بدعة ضلالة»(١).

وقد وفَّى النبيّ ﷺ مقاماتِ العباداتِ كلَّها ومراتبَ الدّين، وفضائل الأعمال والخصال المحمودة والأخلاق المرضية، قد وفَّى هذه الأمورَ كلَّها حقَّها، وأتى بالغايةِ في ذلك كلِّه، فرسول الله هو القدوةُ للعابد، والقدوةُ للداعية، والقدوة للمعلِّم، والقدوةُ للحاكم، والقدوة للقائد، والقدوةُ للجنديّ، والقدوةُ للزّوج وللأب، والقدوةُ في المعاملات وفي كلّ حالٍ يتقلّب فيه الإنسان، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، قالت عائشة رضي الله عنها: «كان خلقه القرآن»(٢)، أي: يعمَل به في كلّ صغيرةٍ وكبيرة، ويتّصف ويعمَل بما يدعو إليه القرآن، ويجانبُ ما ينهى عنه القرآن.

وسنّة رسول الله ﷺ معالم هُدى في

في صلاح الأمة

لفضيلة الشيخ
علي عبد الرحمن الحذيفي
إمام المسجد النبوي

الصراط المستقيم، يقتدي بها المسلمون، ولقد جمعت سنةُ رسول الله ﷺ الفضائل كلّها والخيراتِ والكمالاتِ كلَّها، فمن عمل بالسنة فقد جمع الله له الخير كله، ومن ترك السنةَ فقد حُرم الخيرَ كلَّه، ومن ترك بعضَ السنة فقد فاته من الخير بقدرِ ما ترك من السنة النبوية.

وإذا كانت هذه منزلة السنة النبوية، وهذا فضلها ومكانها السني وشرفها العلي، فما معنى هذه السنة؟

السنة- يا عباد الله- معناها في اللغة: الطريق المسلوك والعادة المتَّبعة، قال تعالى: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٧].

ويرادُ بالسنة في الشرع: التمسكُ والعمل بما كان عليه رسول الله ﷺ هو وخلفاؤه الراشدون المهديون وصحابتُه السابقون من الاعتقادات والأعمال والأقوال، كما يُرادُ بالسنة أقوالُ رسول الله ﷺ وأفعالُه وتقريراته؛ لأن ذلك أصلُ الاعتقاد والعمل.

أمة الإسلام، إنَّ الحال التي وصل إليها المسلمون يحزن لها قلبُ كلّ مؤمن، وتدمع العين، وتأسى النفس، فقد تكالب عليهم الأعداءُ، ونال هؤلاء الأعداءُ من المسلمين ما يغيض المسلمين في كل مجال، واستهانوا بحقوقهم وتجرءوا عليهم واستخفوا بقيمهم، وتمادوا في الظلم والعدوان عليهم، ومزّقت المسلمين نزعات التعصب المذهبي والمناهج الحزبية، والقوميات الجاهلية والبدع المحدثة، وأضعف المسلمين تناحرهم وتفرقهم والأهواءُ الضالة واتباع الشهوات المحرمة، وليس ذلك الضعفُ والانحطاط والذُّل لقلة عدد المسلمين، فهم أكثرُ أهل الأديان عددًا، وإنما مُصابُ المسلمين بالتقصير في العمل بدينهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١].

وإنَّ الوضع الذي عليه المسلمون اليومَ من كيد أعدائهم لهم، وإنزالِ أنواع البلايا والمِحَن عليهم، إنّ تلك الحالَ وذلك الوضع قد أيقظَ الهِمَمَ العالية، وأوجب النصائحَ الصادقة أنِ ارجعوا- أيها المسلمون- إلى ربّكم، وتوبوا إلى بارئكم، وتمسّكوا بدينكم، واعملوا بكتابِ ربّكم وسُنَّة نبيكم، يرحمكم ربُّكم ويرفَع ما نزل بكم.

وإنَّ أسباب أمراضَ المسلمين قد كثُرت، وإن أسبابَ انحطاطِهم قد تعدَّدت، ومصائبهم قد توالت والعقوبات قد عظُمت، وقد يزداد الأمرُ سوءًا ولكنَّ العاقبة للإسلام.

إنَّ أدواءَ المسلمين ليس لها دواءٌ إلاَّ السنَّة النبوية، إنَّ اتباعَ سنةِ رسول الله ﷺ والتمسّك بمنهج السلف الصالح، عِلاجُ الأمراض وزوالُ المكروهات ونزُول البركات

والخيرات، والتمسُّك بالسنة هو الاجتماع ونَبذ الخلافات وتوادُّ القلوب واتفاق النيات، والتمسُّك بالسنة هو النصرُ على أعداء الحقِّ، وعلى أهلِ الغيِّ والشهوات، قال بعض أهل العلم: "ما مِن بلدٍ يعمَل أهلُه بالسنّة وتظهر فيه أنوارها إلاَّ كان منصورًا ظاهرًا على عدوِّه، وما مِن بلدٍ تنطفئ فيه أنوارُ السنة إلاَّ غلَب عليه عدوُّه". وفي حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله: «جُعِل رزقي تحتَ ظلِّ رمحي، وجُعلت الذِّلّة والصّغار على من خالف أمري، ومن تشبَّه بقوم فهو منهم»(٣)، وروى أبو داود والترمذي عن العرباض بن سارية -رضي الله عنه-، قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظةً وجلت منها القلوبُ وذرَفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله، كأنها موعظةُ مودِّع فأوصنا، قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمعِ والطاعة، وإن تأمَّر عليكم عبد، فإنّه من يعِش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتيّ وسنةِ الخلفاء الراشدين المهديّين من بعدي، عضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثاتِ الأمور، فإن كلّ بدعة ضلالة»(٤).

إنّ الدعوةَ للسنّة النبوية هي للناس كلِّهم، ففرضٌ على كلّ مسلم أن يقومَ بذلك، فدعوةُ المسلم لأخيه المسلم بتكميل نقصِ تمسُّكِه بالسنة، واستدراكِ ما فاته مِن العمل بالسنة، وجَبر تقصيره في دينه وتذكيره بغفلته وتعليمه ما يجهله، ومعاونته على الخير وتحذيره من الشر، ودعوةُ المسلم للكافر ببيان محاسنِ الإسلام وإقامة الحجّة عليه، وأن يكونَ المسلم قدوةً صالحة في دينه.

وأنتم- أيها المسلمون- في هذه البلاد عافاكم الله مما ابتُلِيت به بعض البلدان من كثير من الشرور، فاحمدوا الله على ذلك، ولكن احذَروا أن تفتَحوا على أنفُسكم أبوابَ الشرِّ الذي فُتِح على غيركم، فإن الأمة ما تزال بخير ما لم تفتح على نفسها باب الشرِّ، فإذا انفتح باب شر فلن يُغلق، واعتبروا بما وقع فيه العالَم من الفتن التي يرقق بعضها بعضا، والتي أفسدت الحياة ودمرت المجتمعات، والسعيد من وُعِظَ بغيره والشقيُّ من وُعِظَ به غيره، واحذروا التهاونَ بالذنوب، فإنها سببُ العقوبات، وليكُن المسلم في يومِه خيرًا منه في أمسِه، وفي غدِه خيرًا منه في يومه، ولا يرضَى لنفسِه بالتأخُّر في الطاعة والتساهل في المعصية.

وإياكم- معشر المسلمين- والموانعَ من اتّباع السنَّة، وأعظمُ مانعٍ من اتّباع السنةِ اتباعُ الهوى، قال الله تعالى عن المعاندين للحق: ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص:٥٠]. وأهلُ البدَع يُسمِّيهم السلفُ أهلَ الأهواء لمباعدتهم السنَّة. وإياكم وفتنةَ الدنيا وركوبَ الشهواتِ المحرمة، فإنْ ذلك يصدُّ عن السنة، قال الله تعالى: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ [الأعلى:١٦، ١٧]، وقال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم:٥٩].

وممّا يصُدُّ عن سنّة المصطفى ﷺ تقليدُ

الضالّين المُضلِّين من ذوي التعصُّب المذموم، وأربابِ الطُّرُق الضالّة والأهواء المنحرفة، قال الله تعالى: ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف:٣].

وممّا يصدُّ عن سنّةِ المصطفى ﷺ الجهلُ بها، وفي الحديث: «من يُردِ الله به خيرًا يفقّهه في الدين» رواه البخاري ومسلم من حديث معاوية – رضي الله عنه –.

فلا يحُلْ بينك وبين السنّة– أيها المسلم– حائل، ولا يصدَّنَّك عنها شيء، فإنه لا يأمَن من الشر والعقوبات ولا يفوز بالخير والجنات، إلاَّ من تمسَّك بما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابُه، فتمسك بهذه السنّة في كل صغيرة وكبيرة من حياتك، واحفظ من القرآن واحفظ من الحديث ما تحتاجه في عباداتك ومعاملاتك، وكلما ازددت فهو خير لك، قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر:٧]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال:٢٠، ٢١].

عبادَ الله، اغتنموا الأوقات في الأعمال الصالحات، ولا تضيعوا الأعمار بتفويت فرص القدرة على فعل الخيرات والتمكن من الحسنات، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر:١٨]. وفي الحديث عن النبي ﷺ: «نعمتان مَغْبُونٌ فيهما كثيرٌ من الناس، الصِّحَّة والْفَرَاغُ». وإذا أرخى المسلم لنفسه الزمام فلا يتعدى المباح إلى المحرم، فطوبى لمن لم يتجاوز المباح إلى المحرمات.

وأحسنوا الرعاية على من ولاكم الله أمره من الرعية، فمسؤولية الأولاد مسؤولية عظيمة، فلا تتركوهم يتعرضون للشرور والضياع، ولا تغفلوا عن إصلاح بيوتكم، فإن الأسرة لبنة المجتمع، ولا ترتادوا في السياحة إلا البلاد المأمونة من الفساد، وفي بلادكم مبتغىً لمريد الاصطياف والسلامة والأمان.

عبادَ الله، إنّ الله أمركم بأمرٍ بدأ فيه بنفسه فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦]. وقد قال: «من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشراً». فصلُّوا وسلِّموا على سيّد الأولين والآخرين وإمام المرسلين.

اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمّد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وسلِّم تسليمًا كثيرا.

---

(١) صحيح مسلم (ح٨٦٧).

(٢) أخرجه مسلم (ح٧٤٦).

(٣) أخرجه أحمد (٢/٥٠)، والحديث صححه الألباني في الإرواء (١٢٦٩).

(٤) سنن أبي داود (ح٤٦٠٧)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٣٧).



إعداد
أسامة سليمان

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن الحج أحد أركان الإسلام، تتجلى فيه مظاهر العبودية لله عز وجل، ويبدو ذلك واضحًا في كل أعماله، والعبودية لله سبحانه فيها سكينة القلب وطمأنينة النفس وراحة البال، والذل لله والخضوع لمقتضى أمره ونهيه فيشعر المرء بحلاوة ذل العبودية.

وقد فرض الحج على المكلف مرة واحدة في عمره وما زاد فهو تطوع وهذا من رحمة الله بنا، قال ﷺ: «إن الله فرض عليكم الحج فحجوا» فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ قال: «لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم» [أخرجه مسلم].

ولقد جاءت فرضية الحج مقرونة بالاستطاعة في قوله سبحانه ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾، وهو من العبادات البدنية المالية، حيث لابد من توافرهما معًا لتحقيق شرط الاستطاعة، فضلا عن ترك الحاج لأهله وأولاده ما يكفيهم من طعام وكسوة ونحوهما حتى يعود من حجه، ففي الحديث «كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت» [أخرجه أبو داود وحسنه الألباني] فعلى المسلم أن يبادر بأداء تلك الفريضة ولا يؤخر أداءها فقد يمرض الصحيح وتعطب الدابة وفي حديث أبي داود عن ابن عباس رضي الله عنهما «من أراد الحج فليتعجل».

وعلى الحاج قبل سفره بعض الواجبات والمستحبات التي يجب عليه أداؤها منها.

١. **التوبة والإخلاص**: فإذا شاء الله للمسلم الحج فعليه أولا أن يقلع عن كل الذنوب، ويعزم على عدم العودة إليها، ويندم على فعلها، وأن يرد الحقوق إلى أهلها، فيخرج من مظالم العباد، ويرد الأمانات إلى أهلها، ويؤدي الديون إذا حان وقت سدادها، أما إذا قرب وقت أدائها فعليه أن يستأذن أصحابها لإمهاله وإنظاره إلى أن يعود من حجه، وأن يتحلل ممن اغتابهم ويكثر الاستغفار لهم، ويسأل الله أن يرحمه ويرضي خصماءه عنه، ويتقبله في الصالحين، وأن يخلص النية في عمله لله رب العالمين، فلا يبتغي بذلك رياءً ولا سمعة ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾.

٢. **المشورة والنصيحة**: ويستحب للحاج أن يطلب النصيحة والمشورة ممن يثق في دينهم وعلمهم، وأن يكتب وصية قبل سفره ويشهد عليها ويوكل غيره في أداء حقوق العباد إذا حان وقت أدائها أثناء سفره فضلا عن حقوق رب العباد كالزكاة وغيرها.

٣. **تحري المال الحلال في نفقة حجه وعمرته**، وقد ذهب الإمام أحمد رحمه الله إلى أن الحج لا يجزيه إذا حج من مال حرام، إذ المال الحرام يعظم به الوزر ويزداد به الإثم.

٤. **تعلم مناسك الحج وأحكامه قبل السفر**، فالعلم مقدم على العمل فطلب العلم فريضة ولا سيما إذا تعلق بالفروض العينية، وكم شاهدنا من مسائل هي من بدهيات الحج يقع

فيها الحاج بسبب عدم علمه بالمناسك، وعلى الدعاة أن يبينوا للحجاج قبل سفرهم كل ما يعملونه في تلك الرحلة المباركة.

٥.أن يودع أهله وإخوانه قبل سفره، فقد كان النبي ﷺ قبل سفره يودع أصحابه ويقول: «استودع الله دينكم وأمانتكم وخواتيم أعمالكم» [رواه احمد والترمذي] وفي صحيح البخاري أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني أريد السفر فزودني، فقال له النبي ﷺ: «زودك الله التقوى»، قال: زدني، قال: «وغفر ذنبك»، قال: زدني، قال: «ويسر لك الخير حيثما كنت» وقال له رجل: إني أريد سفرًا، فقال: أوصيك بتقوى الله والتكبير على كل شَرَف فلما ولى قال: «اللهم ازْوِ له الأرض، وهوِّن عليه السفر».

[رواه البخاري]

٦.المحافظة على أدعية السفر:

فقد ثبت أن النبي ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجًا إلى سفر، كبر ثلاثًا، ثم قال: «سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا واطْوِ عنَّا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر وسوء المنقلب في المال والأهل». [رواه مسلم]، ومقرنين أي مطيقين والوعثاء هي الشدة، والكآبة تعني تغير النفس، والمنقلب هو المرجع والمآب.

٧.التكبير إذا صعد مرتفعًا والتسبيح إذا هبط منخفضًا، فقد ثبت في البخاري عن جابر رضي الله عنه قال: كنا إذا صعدنا كبرنا وإذا نزلنا سبحنا، وقد رأى النبي ﷺ قومًا يهللون ويكبرون إذا أشرفوا على وادٍ يرفعون أصواتهم بذلك فقال لهم النبي ﷺ: «أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أَصَمَّ ولا غائبًا، إنه معكم، إنه سميع قريب». متفق عليه. أربعوا على أنفسكم أي ارفقوا بها.

٨.الصحبة الصالحة: فالرفقاء إن كانوا على غير الصلاح أفسدوا الطريق وقد يفسدون الصديق، فالصديق قبل الطريق، والصاحب ساحب، فليتحر الحاج اختيار الرفقة المؤمنة، فالمرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل، والجليس الصالح كحامل المسك، وشرف الزمان والمكان لا يحتمل سوء الخلق وصحبة السوء.

٩.الحذر من المعاصي والتفريط في الواجبات:

فمن العجب أن ترى من أحرم والسجارة في فمه، ولسانه يغتاب وينم ويكذب ويضيع الصلوات ويجلس أمام الشاشات لمشاهدة المنكرات وكذا المرأة تحرم في ملابس تجسد عورتها أو ملابس زينة وتخالط الرجال وتخضع بالقول، فمتى يقلع العبد عن المعاصي إن لم يقلع في هذا الزمان وهذا المكان الذي تنزل فيه الرحمات وتعتق فيه الرقاب من الهلكات وتضاعف فيه الحسنات.

فعجل أخي بالحج لتُكَفَّر لك الذنوب وتُستَر لك العيوب، فالحج المبرور جزاؤه الجنة، والحج والعمرة ينفيان الفقر كما تنفى النار خبث الحديد وهو أفضل الجهاد للمرأة.

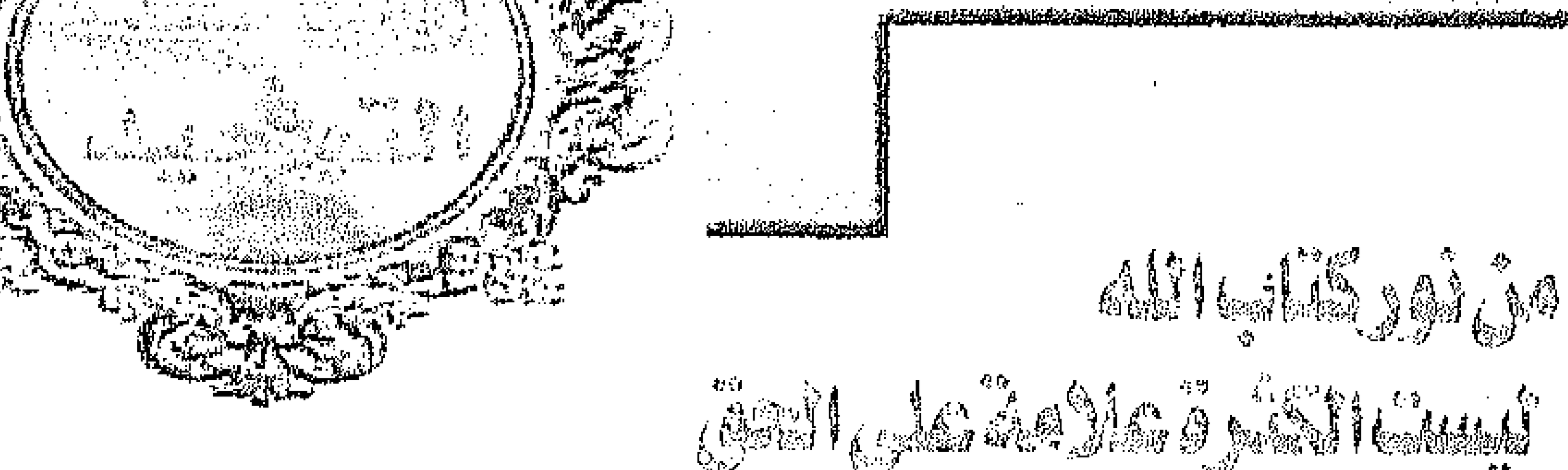
- وإليك أخي ما قال شيخ الإسلام عندما سئل عن أيهما أفضل إيثار الفقراء أم الحج؟

ماذا يقول أهل العلم في رجل
آتاه ذو العرش مالا حج واعتمرا
فهزه الشوق نحو المصطفى طربا
أترون الحج أفضل أم إيثاره الفقرا
أم حجه عن أبيه ذاك أفضل أم
ماذا الذي يا سادتي ظهرا
فأفتوا محبًا لكم فديتكمو
وذكركم دأبه إن غاب أو حضرا

فأجاب:

نقول فيه إن الحج أفضل من
فعل التصدق والإعطاء للفقرا
والحج عن والديه فيه برهما
والأم أسبق في البر الذي ذكرا
لكن إذا خص الأب كان إذًا
هو المقدم فيما يمنع الضررا
كما إذا كان محتاجًا إلى حلةٍ
وأمه قد كفاها من برى البشرا
هذا جوابك يا هذا موازنةً
وليس مفتيك معدودًا من الشعرا

والله من وراء القصد.



من نور كتاب الله

ليست الكثرة علامة على الحق

قال تعالى: ﴿قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة:١٠٠].

من هدي رسول الله ﷺ

تعريف الزائر بنفسه

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: أتيت النبي ﷺ في دَين كان على أبي، فدققت الباب، فقال: «من ذا؟» فقلت: أنا. فقال: «أنا أنا». كأنه كرهها. [صحيح البخاري]

من فضائل الصحابة

عن أنس بن مالك رضي الله عنه حدثهم أن النبي ﷺ صعِد أُحدًا وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال: «اثبت أحد، فإنما عليك نبيٌّ وصديق وشهيدان».

[صحيح البخاري]

من درر التفاسير

قال ابن كثير رحمه الله تعالى عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ [لقمان: ١٩]: «أي لا تبالغ في الكلام ولا ترفع صوتك فيما لا فائدة فيه ولهذا قال ﴿إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾، وقال مجاهد: ﴿إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾: «أي غاية من رفع صوته أنه يشبه بالحمير في علوه ورفعه، ومع هذا فهو بغيض إلى الله، والتشبيه في هذا بالحمير يقتضي تحريمه وذمه غاية الذم».

[تفسير ابن كثير]

حكم ومواعظ

قال طاووس رحمه الله: «إن من السنة أن نوقر أربعة: العالم، وذو الشيبة، والسلطان، والوالد».

[الدر المنثور للسيوطي]

قال يحيى بن معاذ الرازي: أعداء الإنسان ثلاثة: دنياه، وشيطانه، ونفسه، فاحترس من الدنيا بالزهد فيها، ومن الشيطان بمخالفته، ومن النفس بترك الشهوات. [ص٣٣١٥ عن مدارك السالكين]

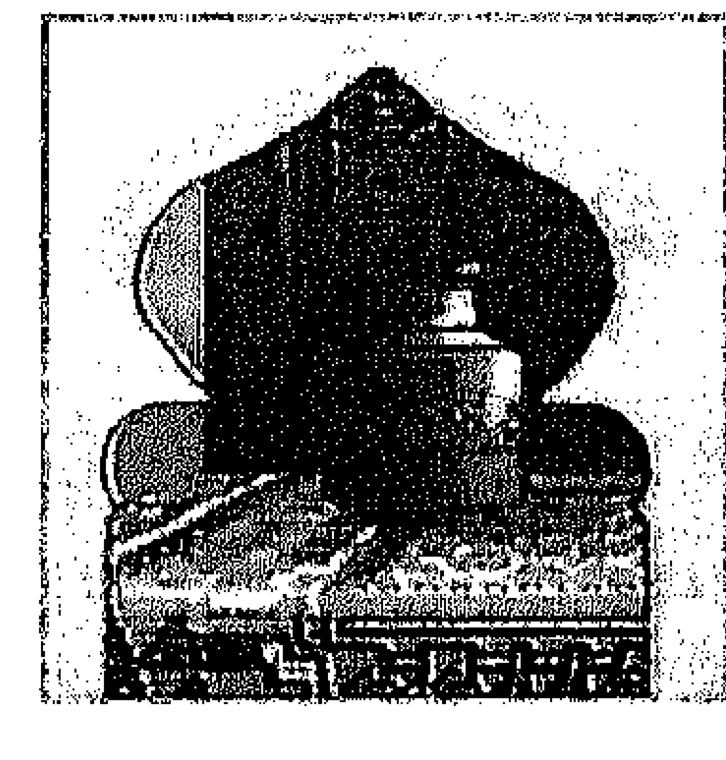
قال يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى: «الذي حجب الناس عن التوبة طول الأمل، وعلامة التائب إسبال الدمعة وحب الخلوة والمحاسبة للنفس عند كل همة». [ذم الهوى لابن الجوزي]

من مكارم الأخلاق

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «إن مكارم الأخلاق عشرة: صدق الحديث، وصدق التأسي في طاعة الله، وإعطاء السائل، ومكافأة الصنيع، وصلة الرحم، وأداء الأمانة، والتذمم للجار، والتذمم للصاحب، وقرى الضيف ورأسهن الحياء». [مكارم الأخلاق ابن أبي الدنيا]

النصر الحقيقي

قال ابن المبارك: قوله ﷺ: «النصر مع الصبر» يشمل النصر في الجهادين، جهاد العدو الظاهر وجهاد العدو الباطن، فمن صبر فيهما نصر وظفر بعدوه، ومن لم



يصبر فيهما وجزع قهر وصار أسيرًا لعدوه أو قتيلاً له. [جامع العلوم والحكم ص١٧٢]

من فقه النصيحة

قال ابن رجب رحمه الله: كان السلف إذا أرادوا نصيحة أحد وعظوه سرًا حتى قال بعضهم: من وعظ أخاه فيما بينه وبينه فهي نصيحة، ومن وعظه على رؤوس الناس فإنما وبخه. [جامع العلوم والحكم ص٧١]

من أمثال العرب
الرائد لا يكذب أهله

الرائد لغة: الذي يتقدم القوم لطلب الماء والكلأ لهم فإن كذبهم أفسد أمرهم وأمْرَ نفسه معهم، لأنه واحد منهم. ويضرب مثلاً لمن تولى من أمر الناس شيئًا وكان لهم ناصحًا أمينًا غير كاذب ولا غاش لهم.

[جمهرة الأمثال ١/٤٧٤]

صريح الإيمان

في حديث الوسوسة: «ذاك صريح الإيمان» أي: كراهتكم له وتفاديكم منه صريح الإيمان، والصريح: الخالص من كل شيء، وهو ضد الكناية، يعني أنه صريح الإيمان الذي يمنعكم من قبول ما يلقيه الشيطان في أنفسكم حتى يصير ذلك وسوسة لا تتمكن في قلوبكم، ولا تطمئن إليه نفوسكم، وليس معناه أن الوسوسة نفسها صريحُ الإيمان؛ لأنها إنما تتولد من فعل الشيطان وتسويله، فكيف يكون إيمانًا صريحًا. [النهاية لابن الأثير ٣/٢٠]

من نصائح السلف

قال محمد بن الحسين: «دخلت على محمد بن مقاتل، فقلت له: عظني، فقال: اعمل فإن مت لم تعد أبدًا، وانظر إلى الذاهبين هل عادوا؟

تذهب أيامنا على لعبٍ
منها والذنوب تزداد
أين أحبابنا وبهجتهم؟
بطيب أيام عيشهم بادوا

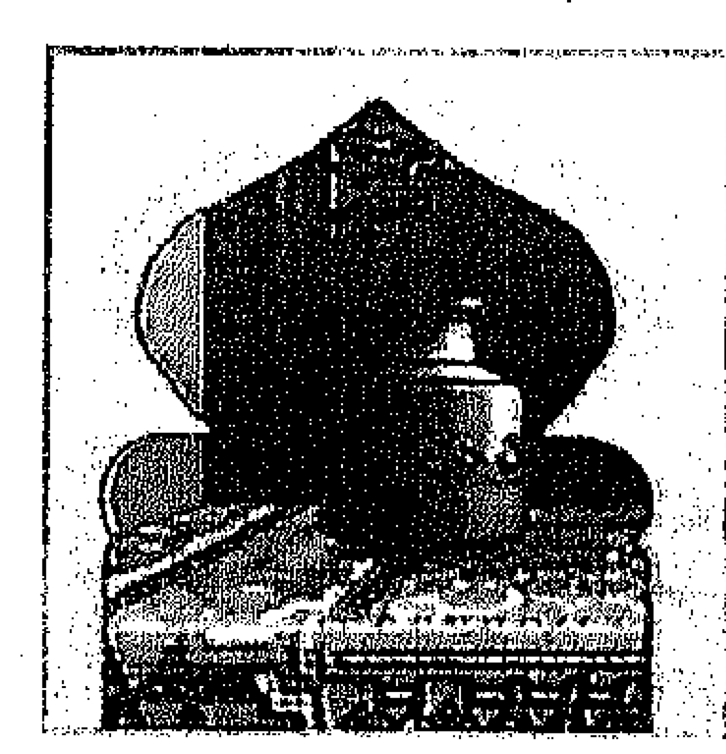
[نضرة النعيم ٢/٣٨٧]

العفو من الفضائل

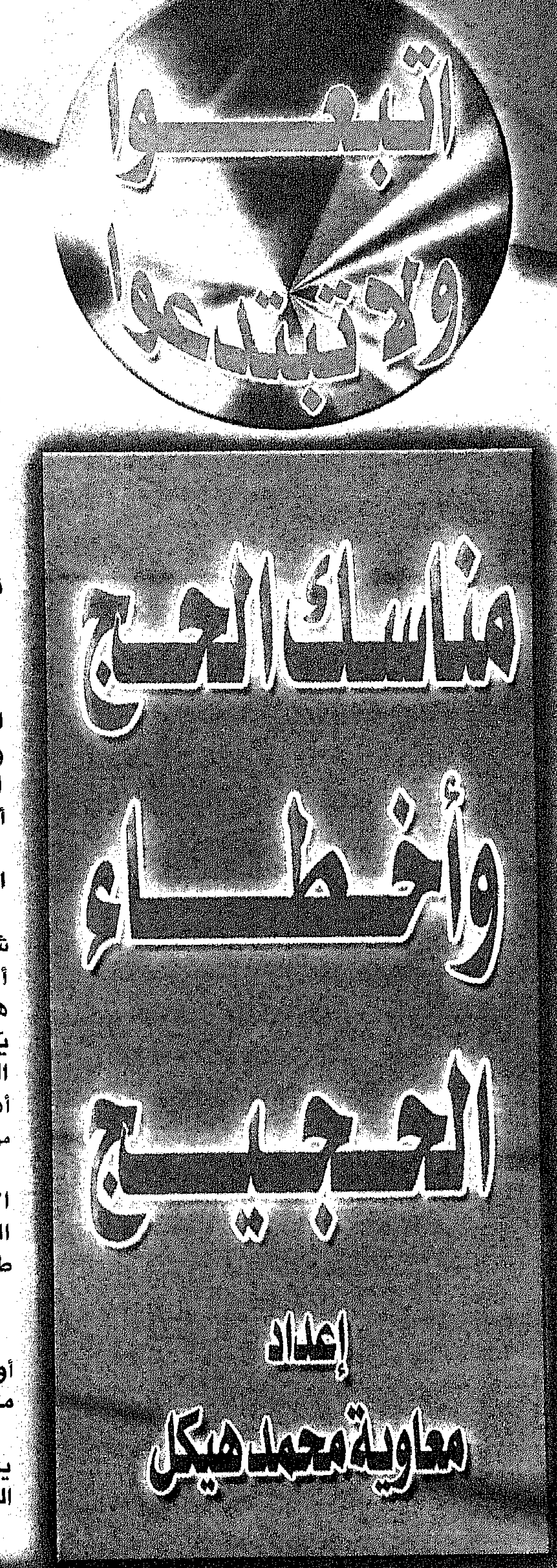
قال الفضيل: إذا أتاك رجل يشكو إليك رجلاً فقل: يا أخي اعف عنه فإن العفو أقرب للتقوى، فإن قال: لا يحتمل قلبي العفو ولكن أنتصر كما أمرني الله- عز وجل- فَقُلْ: فإن كنت تحسن تنتصر مثلاً بمثل وإلا فارجع إلى باب العفو فإنه باب أوسع؛ فإنه من عفا وأصلح فأجره على الله، وصاحب العفو ينام الليل على فراشه، وصاحب الانتصار يقلب الأمور.

الزم جماعة المسلمين وإمامهم

عن سماك بن الوليد الحنفي؛ أنه لقي ابن عباس فقال: «ما تقول في سلاطين علينا يظلموننا، ويشتموننا، ويعتدون علينا في صدقاتنا، ألا نمنعهم؟ قال: لا، أعطهم، الجماعة الجماعة، إنما هلكت الأمم الخالية بتفرقها، أما سمعت قول الله: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا ﴾».



[الدر المنثور للسيوطي]



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد:

فإن الحج من أفضل العبادات وأجل الطاعات لأنه أحد أركان الإسلام الذي بعث الله به محمداً ﷺ والتي لا يتم دين العبد إلا بها والعبادة لا تكون مقبولة إلا بأمرين:

أحدهما: الإخلاص لله- عز وجل- بأن يقصد بها وجه الله والدار الآخرة، لا يقصد بها رياءً ولا سمعة ولا حظاً من حظوظ الدنيا.

الثاني: اتباع النبي ﷺ فيها قولاً وعملاً، واتباع النبي لا يمكن تحقيقه إلا بمعرفة سنته ﷺ.

وفي هذا المقال نوضح مناسك الحج وأخطاء بعض الحجيج فيه ليكون المسلم على بينة من أداء نسكه فنقول مستعينين بالله عز وجل.

أعمال الحج :

أولا: الإحرام

ثبت في الصحيحين وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ وقت لأهل المدينة ذا الحليفة، ولأهل الشام الجحفة، ولأهل نجد قرن المنازل، ولأهل اليمن يلملم، وقال: «فهن لهن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن لمن كان يريد الحج والعمرة».

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ وقت لأهل العراق ذات عرق. [رواه أبو داود والنسائي]

فهذه المواقيت التي وقتها رسول الله ﷺ حدود شرعية توقيفية لا يحل لاحد تغييرها أو التعدي فيها، أو تجاوزها بدون إحرام لمن أراد الحج أو العمرة، فإن هذا من تعدي حدود الله وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [البقرة:٢٢٩]، ولأن النبي ﷺ قال: «يهل أهل المدينة من ذي الحليفة ويهل أهل الشام من الجحفة، ويهل أهل نجد من قرن» [متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما] وهذا خبر بمعنى الأمر.

والإهلال: رفع الصوت بالتلبية، ولا يكون إلا بعد عقد الإحرام، فالإحرام من هذه المواقيت واجب على من أراد الحج أو العمرة إذا مر بها أو حاذاها سواء أتى من طريق البر أو البحر أو الجو.

أخطاء تقع في الإحرام من بعض الحجيج

١ - بعض الناس يمرون من فوق الميقات في الطائرة أو ما يحاذيه ويؤخرون الإحرام حتى ينزلوا جدة، وهذا مخالف لأمر النبي ﷺ، وتعد لحدود الله تعالى.

فإذا وقع الإنسان في هذا الخطأ فنزل جدة قبل أن يحرم فعليه أن يرجع إلى الميقات الذي حاذاه في الطائرة فيحرم منه، فإن لم يفعل وأحرم من جدة فعليه

عند أكثر العلماء فدية يذبحها في مكة ويوزعها كلها على الفقراء فيها، ولا يأكل منها ولا يهدي منها لغني لأنها بمنزله الكفارة.

٢ ـ بعض الرجال إذا أحرموا كشفوا عن أكتافهم على هيئة الاضطباع وهذا غير مشروع إلا في حالة «طواف القدوم أو طواف العمرة» وما عدا ذلك يكون الكتف مستورًا بالرداء في كل الحالات.

٣ ـ بعض النساء يعتقدن أن الإحرام يتخذ له لون خاص، كالأخضر أو الأبيض مثلا وهذا خطأ لأنه لا يتعين لون خاص للثوب الذي تلبسه المرأة في الإحرام وإنما تحرم بثيابها العادية إلا ثياب الزينة أو الثياب الضيقة أو الشفافة فلا يجوز لها لبسها لا في الإحرام ولا في غيره.

٤ ـ بعض النساء إذا مرت بالميقات تريد الحج أو العمرة وأصابها الحيض قد لا تحرم ظنًا منها أو من وليها أن الإحرام تشترط له الطهارة من الحيض فتتجاوز الميقات بدون إحرام والصواب أن تحرم وتفعل ما يفعل الحاج غير الطواف بالبيت فإنها تؤخره إلى أن تطهر، كما وردت به السنة وإذا أخرت الإحرام وتجاوزت الميقات بدونه فإنها إن رجعت إلى الميقات وأحرمت منه فلا شيء عليها وإن لم ترجع فعليها دم لتركها واجبًا.

٥ ـ يظن بعض الناس أن المخيط الذي منع منه المحرم هو كل ما كان فيه خيوط وهذا فهم خاطئ بل المراد بالمخيط ما كان مفصلا على حجم العضو من رأس وذراع وقد وغيره.

ثانيًا: الطـــواف

ثبت عن النبي ﷺ أنه ابتدأ الطواف من الحَجَر الأسود في الركن الشرقي الجنوبي من البيت، وأنه طاف بجميع البيت من وراء الحِجْر.

وأنه رمل في الأشواط الثلاثة الأولى فقط في الطواف أول ما قدم مكة.

وأنه كان في طوافه يستلم الحجر الأسود ويقبله واستلمه بيده وقبلها، واستلمه بمحجن كان معه وقبَّل المحجن وهو راكب على بعيره، وطاف على بعيره فجعل يشير إلى الركن يعني الحجر كلما مر به. وثبت عنه أنه كان يستلم الركن اليماني.

الأخطاء الفعلية التي تقع في الطواف

١- ابتداء الطواف من قبل الحجر أي فيما بينه وبين الركن اليماني، وهذا من الغلو في الدين الذي نهى عنه النبي ﷺ.

٢- طوافهم عند الزحام من داخل باب الحِجْر، وهذا خطأ عظيم لا يصح الطواف بفعله لأن الحقيقة أنه لم يطف بالبيت وإنما طاف ببعضه. حيث إن الحجر جزء من الكعبة.

٣- الرمل في جميع الأشواط السبعة.

٤- المزاحمة الشديدة للوصول إلى الحَجَر لتقبيله، حتى إنه يؤدي في بعض الأحيان إلى المقاتلة والمشاتمة، فيحصل من الأقوال المنكرة ما لا يليق بهذا البيت العتيق، وهذه المزاحمة تذهب الخشوع وتنسي ذكر الله تعالى، وهما من أعظم المقصود في الطواف.

٥- اعتقادهم أن الحَجَر نافع بذاته، ولذلك تجدهم إذا استلموه مسحوا بأيديهم على أجسامهم أو مسحوا بها على أطفالهم الذين معهم، وكل هذا جهل وضلال، فالنفع والضر من الله وحده، وفي الصحيحين عن عمر رضي الله عنه أنه كان يقبل الحجر ويقول: «إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك ما قبلتك».

٦- استلامهم- أعني بعض الحجاج- لجميع أركان الكعبة وربما استلموا جميع جدران الكعبة وتمسحوا بها، وهذا جهل وضلال، لأن النبي ﷺ لم يستلم من البيت سوى الركن اليماني والحجر الأسود.

الأخطاء القولية في الطواف

ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يكبر الله تعالي كلما أتى على الحجر الأسود. وكان يقول بين الركن اليماني والحجر الأسود: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة:٢٠١] وقال: «إنما جعل الطواف بالبيت وبالصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله».

[رواه الترمذي كتاب الحج ٩٠٢]

١- بعض الطائفين يخصص كل شوط بدعاء معين لا يدعو فيه بغيره. ولم يرد عن النبي ﷺ في الطواف دعاء مخصوص لكل شوط، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وليس فيه- يعني الطواف- ذكر محدود عن النبي ﷺ لا بأمره ولا بقوله ولا بتعليمه، بل يدعو فيه بسائر الأدعية الشرعية، وما يذكره كثير من الناس من دعاء معين تحت الميزاب ونحو ذلك فلا أصل له.

٢ - ومما يفعله بعض الطائفين أن يجتمع جماعة علي قائد يطوف بهم ويلقنهم الدعاء بصوت مرتفع فيتبعه الجماعة بصوت واحد فتعلو الأصوات وتحصل الفوضى والتشويش على الطائفين.

ركعتا الطواف وأخطاء الحجيج فيهما

-ثبت عن النبي ﷺ أنه لما فرغ من الطواف تقدم إلى مقام إبراهيم فقرأ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة:١٢٥] فصلى ركعتين والمقام بينه وبين الكعبة، وقرأ في الركعة الأولى الفاتحة و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ وفي الثانية سورة الفاتحة و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

والخطأ هنا إيذاء الطائفين بالإصرار على الصلاة عند المقام وفي هذا عسرٌ شديدٌ على الناس والركعتان تجزئان في أي مكان من المسجد الحرام.

ثالثًا: السعي بين الصفا والمروة

ثبت عن النبي ﷺ أنه حين دنا من الصفا قرأ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾، ثم رقي عليه حتى رأى الكعبة فاستقبل القبلة ورفع يديه فجعل يحمد الله ويدعو ما شاء أن يدعو، فوحد الله وكبره وقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده ثم دعا بين ذلك فقال مثل هذا ثلاث مرات ثم نزل ماشياً، فلما انصبت قدماه في بطن الوادي - وهو ما بين العلمين الأخضرين - سعى حتى إذا تجاوزهما مشى حتى أتى المروة، ففعل على المروه كما فعل على الصفا.

الأخطاء التي ترتكب في السعي

١- بعض الساعين إذا صعدوا الصفا والمروة كبروا ثلاث تكبيرات يرفعون أيديهم ويُومِئون بها كما يفعلون في الصلاة عند تكبيرة الإحرام ثم ينزلون، وهذا خلاف ما جاء عن النبي ﷺ.

٢- بعض الساعين يشتدون في المشي ما بين الصفا والمروة كله، وهذا خلاف السنة، فإن السعي ما بين العلمين فقط والمشي في بقية المسعى، وأكثر ما يقع من ذلك إما جهلاً من فاعله أو محبة كثير من الناس للعجلة والتخلص من السعي والله المستعان.

رابعًا: الوقوف بعرفة

ثبت عن النبي النبي ﷺ أنه مكث يوم عرفة بنمرة حتى زالت الشمس، ثم نزل فصلى الظهر والعصر ركعتين ركعتين جمع تقديم باذان واحد وإقامتين، ثم ركب حتى أتي موقفه ووقف وقال: «وقفت هاهنا وعرفة كلها موقف» [رواه مسلم كتاب الحج ١٢١٨] فلم يزل واقفاً مستقبل القبلة رافعاً يديه يذكر الله ويدعوه حتى غربت الشمس وغاب قرصها فدفع إلى مزدلفة.

والأخطاء التي يرتكبها بعض الحجاج هي:

١- أنهم ينزلون خارج حدود عرفة ويبقون في منازلهم حتى تغرب الشمس ثم ينصرفون منها إلى مزدلفة من غير أن يقفوا بعرفة، وهذا خطأ عظيم يفوت به الحج، فإن الوقوف بعرفة ركن لا يصح الحج إلا به، فمن لم يقف بعرفة في وقت الوقوف فلا حج له، لقول النبي ﷺ: «الحج عرفة من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد أدرك». [رواه أبو داود ١٩٤٩]

٢ - أنهم ينصرفون من عرفة قبل غروب الشمس، وهذا خلاف سنة النبي ﷺ حيث وقف إلى أن غربت الشمس وغاب قرصها، ولأن الانصراف من عرفة قبل الغروب عمل أهل الجاهلية.

٣- أنهم يستقبلون جبل عرفة عند الدعاء ولو كانت القبلة خلف ظهورهم أو على أيمانهم أو شمائلهم، وهذا خلاف السنة فإن السنة استقبال القبلة كما فعل النبي ﷺ.

خامسًا المبيت بمزدلفة وما يقع فيها من أخطاء

المطلوب من الحاج إذا وصل إلى مزدلفة أن يصلي المغرب والعشاء جمعًا ويبيت فيها فيصلي بها الفجر ويدعو إلى قُبيل طلوع الشمس. ثم ينصرف إلى منى، ويجوز لأهل الأعذار خاصة النساء وكبار السن والأطفال ومن يقوم بتولي شؤونهم الانصراف بعد منتصف الليل، ولكن يحصل من بعض الحجاج أخطاء في هذا النسك.

- فبعضهم لا يتأكد من حدود مزدلفة ويبيت خارجها.

- وبعضهم يخرج منها قبل منتصف الليل ولا يبيت فيها ومن لم يبت بمزدلفة من غير عذر فقد ترك واجبًا من واجبات الحج يلزمه به دم جبران مع التوبة والاستغفار.

سادسًا: رمي الجمرات

ثبت عن النبي ﷺ أنه رمى جمرة العقبة وهي الجمرة القصوى التي تلي مكة بسبع حصيات ضحى يوم النحر، يكبر مع كل حصاة، كل حصاة منها مثل حصى الخذف أو فوق الحمص، وفي مسند الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما- قال: قال لي رسول الله ﷺ غداة العقبة وهو واقف على راحلته: «هات، القط لي». قال: فلقطت له حصيات هن حصا الخذف فوضعهن في يده فقال: «بأمثال هؤلاء» مرتين وقال بيده، وأشار يحيي أنه رفعها وقال «وإياكم والغلو فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين».

وفي صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يرمي الجمرة الدنيا بسبع حصيات يكبر على إثر كل حصاة، ثم يتقدم حتى يُسْهِل فيقوم

مستقبل القبلة، فيقوم طويلاً ويدعو ويرفع يديه، ثم يرمي الوسطى ثم يأخذ ذات الشمال فيسهل ويقوم مستقبل القبلة فيقوم طويلاً ويدعو ويرفع يديه ثم يرمي جمرة العقبة من بطن الوادي ولا يقف عندها، ثم ينصرف فيقول هكذا رأيت النبي ﷺ يفعله، وروى أحمد وأبو داود عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إنما جعل الطواف بالبيت وبالصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله».

الأخطاء التي يفعلها بعض الحجاج عند الرمي هي:

١- اعتقادهم أنه لا بد من اخذ الحصى من مزدلفة، فيرهقون أنفسهم بلقطها في الليل واستصحابها معهم في أيام منى وقد علم مما سبق أنه لا أصل لذلك عن النبي ﷺ.

٢- اعتقادهم أنهم برميهم الجمار إنما يرمون الشياطين ولهذا يطلقون اسم الشياطين على الجمار فيقولون: رمينا الشيطان الكبير أو الصغير أو رمينا ابا الشياطين يعنون بها الجمرة الكبرى جمرة العقبة، ونحو ذلك من العبارات التي لا تليق بهذه المشاعر، ولذلك نرى ونسمع من حماقات الرماة الشيء المؤسف فنراهم يرمون بالحجارة الكبيرة والأحذية والأخشاب مصحوبًا ذلك بالسب والشتم وما لا يليق بالمناسك.

٣ - ومن الناس من يرمي في غير وقت الرمي بأن يرمي الجمرات الثلاث في أيام التشريق قبل زوال الشمس وهذا الرمي لا يجْزِئ لأنه في غير الوقت الذي حدده النبي ﷺ.

٤ - رميهم الجمرات في غير محل الرمي وهو حوض الجمرة وذلك بأن يرمي الحصى من مكان بعيد فلا تقع في الحوض أو يضرب بها الشاخص فتطير بعيدًا وهذا الرمي لا يجْزِئ لأنه لم يقع في الحوض والسبب في ذلك الجهل والعجلة وعدم المبالاة بالعبادة.

٥- تركهم الوقوف للدعاء بعد رمي الجمرة الأولي والثانية في أيام التشريق.

٦- رميهم الحصى جميعاً دفعة واحدة، وهذا خطأ فاحش وقد قال أهل العلم إنه إذا رمى بكف واحدة أكثر من حصاة لم يحسب له سوى حصاة واحدة.

٧- تهاونهم برمي الجمار بأنفسهم فتراهم يوكلون من يرمي عنهم مع قدرتهم على الرمي ليسقطوا عن أنفسهم معاناة الزحام ومشقه العمل، وهذا مخالف لما أمر الله تعالى به من إتمام الحج حيث يقول سبحانه: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦] فالواجب على القادر أن يباشر الرمي بنفسه ويصبر على المشقة، فليتق الحاج ربه وليتم نسكه كما أمره الله تعالي به ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

سابعاً: طواف الوداع

ثبت في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت إلا أنه خُفِفَ عن الحائض " وفي لفظ لمسلم عنه قال: «كان الناس ينصرفون في كل وجه، فقال النبي ﷺ: «لا ينفرنَّ أحدٌ حتى يكون آخر عهده بالبيت» ورواه أبو داود بلفظ: «حتى يكون آخر عهده الطواف بالبيت».

والخطأ الذي يقع من بعض الناس هنا:

١- نزولهم من منى يوم النفر قبل رمي الجمرات فيطوفون الوداع ويرجعون إلى منى فيرمون الجمرات، ثم يسافرون إلى بلادهم من هناك، وهذا لا يجوز لأنه مخالف لأمر النبي ﷺ أن يكون آخر عهد الحجاج بالبيت، فإن رمى بعد طواف الوداع فقد جعل آخر عهده بالجمار لا بالبيت، ولأن النبي ﷺ لم يطف للوداع إلا عند خروجه حين استكمل جميع مناسك الحج، وقد قال: «خذوا عني مناسككم».

[رواه مسلم ١٢٩٧]

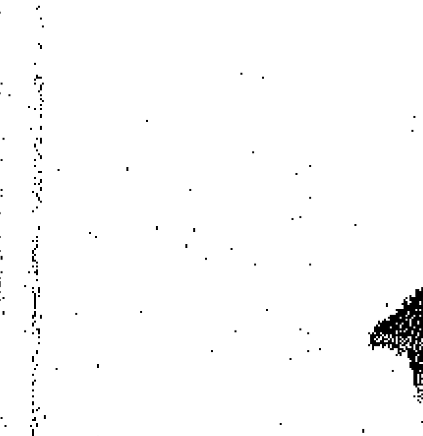
٢- مكثهم بمكة بعد طواف الوداع فلا يكون آخر عهدهم بالبيت، وهذا خلاف ما أمر به النبي ﷺ وبينه لأمته بفعله، ولكن رخص أهل العلم في الإقامة بعد طواف الوداع للحاجة إذا كانت عارضة كما لو أقيمت الصلاة بعد طوافه للوداع فصلاها أو حضرت جنازة فصلى عليها، أو كان له حاجة تتعلق بسفره كشراء متاع وانتظار رفقة ونحو ذلك، فمن أقام بعد طواف الوداع إقامة غير مرخص فيها وجبت عليه إعادته.

٣- خروجهم من المسجد بعد طواف الوداع مولين وجوههم للكعبة وأظهرهم للطريق يزعمون بذلك تعظيم الكعبة، وهذا خلاف السنة بل هو من البدع التي حذرنا منها رسول الله ﷺ.

٤- التفاتهم إلى الكعبة عند باب المسجد بعد انتهائهم من طواف الوداع ودعاؤهم هناك كالمودعين للكعبة، وهذا من البدع لأنه لم يرد عن النبي ﷺ ولا عن خلفائه الراشدين.

فالواجب على المؤمن بالله ورسوله أن يكون في عباداته متبعاً لما جاء عن رسول الله ﷺ فيها لينال بذلك محبة الله ومغفرته كما قال تعالي: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

واتباع النبي ﷺ كما يكون في أفعاله يكون كذلك في متروكاته. فمتي وجد مقتضي الفعل في عهده ولم يفعله كان ذلك دليلاً على أن السنة والشريعة تركه، فلا يجوز إحداثه في دين الله تعالي ولو أحبه الإنسان وهواه. والحمد لله رب العالمين.

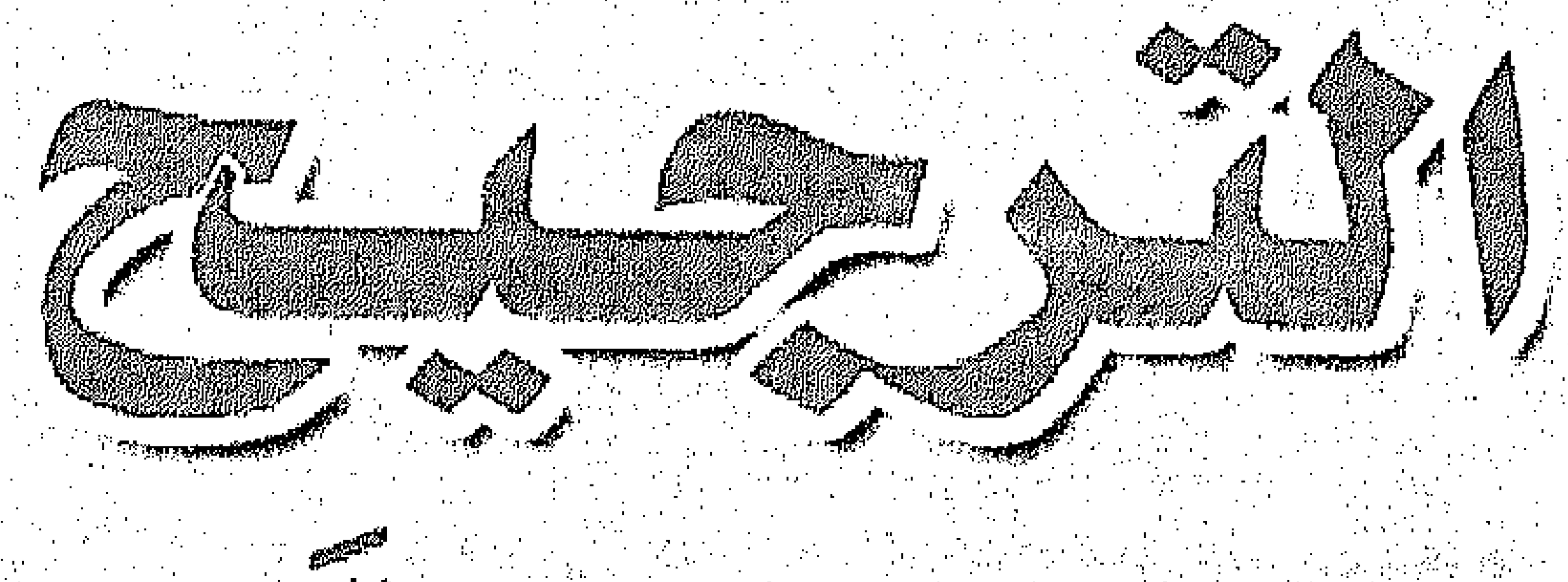




دراسات شرعية

مسائل في السُّنَّة

الحلقة التاسعة





الترجيح في السُّنَّة

إعداد / متولي البراجيلي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

بيَّنا في الأعداد السابقة كيفية دفع التعارض الظاهري بين النصوص، وذكرنا أن الأصل في الدليلين الإعمال لا الإهمال، ومتى أمكننا الجمع بين الدليلين وجب ذلك، ثم انتقلنا إلى الخطوة التالية ألا وهو النسخ، مدلِّلين على ذلك بالأمثلة العملية.

وفي هذا العدد- إن شاء الله- سننتقل إلى الخطوة الثالثة لدفع التعارض، ألا وهو الترجيح، فإذا لم نتمكن من الجمع بين الدليلين ولم نتوصل لمعرفة الناسخ من المنسوخ، وكان هناك منافاة بين النصين، بحيث إذا أعمل أحدهما أهمل الآخر، فحينئذ يصار إلى الترجيح، فيتعين ترجيح أحد النصين على الآخر بوجه من وجوه الترجيح، واعلم أنه: «لا يجوز ترجيح أحد الدليلين المتعارضين على الآخر بدون دليل، إذ أن ترجيح أحد الدليلين بلا دليل تحكم، وهو باطل، ولا يجوز في دين الله التخيُّر بالتشهِّي والهوى بلا دليل ولا برهان». [فتاوى ابن تيمية ج١٣]

أوجه الترجيح: وأوجه الترجيح بين المتعارضين كثيرة جدًا، نسوق بعضها لبيان هذا الأمر، وأنه ينبغي لمن يتصدى للترجيح أن يكون واقفًا على أوجه الترجيح وقوفًا جيدًا.

١- ترجيح النص على الظاهر:

النص هو ما دل على معنى واحد لا يحتمل غيره، مثل قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ [البقرة: ١٩٦]، والظاهر: هو ما احتمل معنيين أو أكثر، هو في أحدهما أو أحدها أرجح، مثل: الأسد، فإن ظاهره في الحيوان المفترس، ويبعد أن يراد به الرجل الشجاع مع احتمال اللفظ له، وهنا لا يجوز العدول عن المعنى الظاهر إلى غيره إلا بدليل.

مثال: زكاة الحلي.

فقد ورد فيها حديث خاص وحديث عام.

الحديث الخاص: في قضية المرأة التي أتت النبي ﷺ وفي يد ابنتها مسكتان غليظتان من ذهب، فأمر النبي ﷺ بإخراج الزكاة عنها، حيث توعدها بالنار إذا لم تؤد الزكاة. [إرواء الغليل ٣/٢٩١]

والحديث العام: قوله ﷺ: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة، صُفِّحت له صفائح من نار...» الحديث. [مسلم ٩٨٧]

فعندما نستدل لإثبات الحكم في هذه المسألة نبدأ بالخاص لأنه نص في الموضوع، إذ أن العام يمكن للمعارض أن يقول: خرج من عمومه كذا وكذا، لكن النص الذي يخص هذا الشيء بعينه لا يمكن المنازعة فيه إلا في ثبوته، إذًا يقدم النص على الظاهر. [شرح الأصول من علم الأصول لابن عثيمين، ومعالم

٢- ترجيح الظاهر على المؤول:

والظاهر هو الذي يدل على الشيء دلالة ظاهرة، والمؤول: يدل عليه بتأويل، والتأويل هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح بدليل يدل على ذلك.

مثال: في حديث النبي ﷺ: «لا نكاح إلا بولي» ظاهره أن الولي شرط لصحة النكاح، فإذا قال قائل: لا نكاح يتم إلا بولي، وقال: إن هذا نفي للتمام والكمال، فهذا خلاف الظاهر، هذا مؤول، فنقدم الظاهر على المؤول.

فلو جاءنا نصان أحدهما يدل على المسألة ظاهرًا، والثاني: يدل على خلافها تأويلاً أخذنا بالظاهر. [المصادر السابقة]

٣- ترجيح المنطوق على المفهوم:

المنطوق: هو ما دلَّ عليه اللفظ في محل النطق، والمفهوم: هو ما دلَّ عليه اللفظ لا في محل النطق.

مثال: قوله ﷺ: «إن الماء طهورٌ لا ينجسِّه شيء». [إرواء الغليل ٢٤]

وقوله ﷺ: «إذا بلغ الماء قلتين لم ينجس». [إرواء الغليل ٢٣]

فإذا وجد ماء كثيرٌ أصابته نجاسة ولم تغيره فهو طهور على كلا اللفظين. (الحديثين).

لأنك إن أخذت بعموم الأول (المنطوق): الماء طهور لا ينجسه شيء، فهذا طهور أصابته نجاسة ولم تغيره فيكون طهورًا، وإن أخذت بالثاني: إذا بلغ الماء قلتين، فهذا قد بلغ قلتين ولم ينجس فيكون طهورًا.

لكن إذا كان دون القلتين فأصابته نجاسة ولم يتغير، فأيهما نقدم؟

عندنا الآن منطوق ومفهوم، المنطوق: الماء طهور لا ينجسه شيء، والمفهوم:

إذا بلغ الماء قلتين لم ينجس، فمفهومه: إذا لم يبلغ القلتين كان نجسًا، فنقدم المنطوق على المفهوم، ونحكم بطهارة الماء الذي خالطته نجاسة ولم يتغير رغم أنه أقل من القلتين عملاً بالمنطوق: «الماء طهور لا ينجسه شيء»، ولأنه إن تغير بالنجاسة فهو نجس بالإجماع.

٤- ترجيح المثبت على النافي:

لأن المثبت معه زيادة علم، فالنافي قد ينفي الشيء لعدم علمه، فإذا جاءنا حديث ينفي وقوع هذا الشيء، وجاءنا حديث آخر يثبت وقوعه، فالمثبت مقدم على النافي.

مثال: ما ذهب إليه الإمام أحمد في صيام عشر ذي الحجة، حيث ورد عن النبي ﷺ في ذلك حديثان:

أحدهما: فيه نفي أن يكون الرسول ﷺ يصومها، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ صائمًا في العشر قط. [مسلم ١١٧٦]

والثاني فيه إثبات أنه كان يصومها، فعن بعض نساء النبي ﷺ، أن النبي ﷺ كان يصوم يوم عاشوراء، وتسعًا من ذي الحجة...

[صحيح سنن النسائي ٢٣٧١]

فأخذ الإمام أحمد رحمه الله بحديث المثبت، وقال: إنه مثبت والمثبت مقدم على النافي. [المصادر السابقة]

٥- ترجيح الناقل عن الأصل على المبقي عليه:

لأن مع الناقل زيادة علم، فإذا وجد دليلان أحدهما مبقٍ على الأصل، والثاني ناقل، قدم الناقل عن الأصل، لأن الذي دل على الأصل بني على أصل وهو الوجود، والناقل دل على شيء ناقل عن الأصل فمعه زيادة علم.

ومثلوا لذلك بحديث طلق بن علي، وحديث بسرة بنت صفوان، فحديث طلق: سئل النبي ﷺ عن الرجل يمس ذكره في الصلاة هل عليه الوضوء؟ قال: لا، إنما هو بضعة منك.

[صحيح ابي داود والترمذي والنسائي]

وحديث بسرة: من مسَّ ذكره فليتوضأ.

[رواه أصحاب السنن وغيرهم وهو صحيح]

وقالوا: عندنا حديثان، أحدهما مبقٍ على الأصل، والثاني ناقل عن الأصل.

فقوله: «من مسَّ ذكره فليتوضأ»، ناقل عن الأصل، لكن لما قال: الرجل يمس ذكره في صلاة هل عليه وضوء؟ قال: لا، فهذا مبقٍ على الأصل، لأن الأصل عدم النقض، فرجح بعضهم حديث بسرة لأنه ناقل عن الأصل.

(ملحوظة: الراجح- والله أعلم- كما سبق وبينا في الجمع بين الأدلة حمل حديث بسرة على المس بشهوة جمعًا بين حديثها وحديث طلق وهو الأوْلى).

٦- ترجيح العام المحفوظ على غير المحفوظ:

فإذا تعارض عامَّان أحدهما محفوظ، وهو الذي لم يدخله التخصيص، وآخر غير محفوظ، وهو الذي دخله التخصيص.

والعام إذا دخله التخصيص ضعف عمومه، حتى إن بعض الأصوليين يقول: إنه إذا دخل التخصيص على العام بطلت دلالته على العموم؛ لأن خروج بعض أفراده موجب لاحتمال خروج بعض الأفراد الأخرى.

يقول الشيخ ابن عثيمين: لكن القول الراجح أن العام إذا خُصص يبقى حجة في العموم إلا في مسألة التخصيص.

مثال: قول الرسول ﷺ : إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين. [متفق عليه]

وقوله ﷺ : «لا صلاة بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس». [متفق عليه]

فالآن عندنا عمومان، الأول: عموم قوله ﷺ : «إذا دخل أحدكم المسجد...» الحديث، وهو يشمل كل وقت.

والثاني: عموم قوله ﷺ : لا صلاة بعد صلاة الصبح... الحديث.

وهو يشمل عموم كل صلاة، فإذا دخل رجل المسجد بعد صلاة الصبح وقبل طلوع الشمس فحينئذ يقع التعارض، فحديث: لا يجلس حتى يصلي ركعتين، يقول: صلِّ، وحديث: لا صلاة بعد صلاة الصبح، يقول: لا تصلِّ.

فحديث: «إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين» هذا عام محفوظ لم يدخله التخصيص، لم يستثنِ النبي ﷺ منه شيئًا إلا مسألة واحدة وهي دخول الخطيب يوم الجمعة فإنه لا يصلي، وهذا يمكن أن يجاب عنه بأن الخطبة تعتبر كالمقدمة بين يدي الصلاة.

وخصِّص أيضًا بما إذا دخل الإنسان المسجد الحرام يريد الطواف، فإنه يبدأ بالطواف ولا يصلي ركعتين، وهذا يمكن أيضًا أن يجاب عنه فيقال: إن الطواف كالصلاة، والطواف أيضًا يشرع له بعد الفراغ منه ركعتان خلف المقام.

ونأتي للحديث: «لا صلاة بعد صلاة الصبح»، فنجد فيه تخصيصات كثيرة، منها:

أولاً: إذا صلى الإنسان الصبح ثم حضر مسجد جماعة فإنه يصلي ولو قبل طلوع الشمس، والدليل: حديث الرجلين اللذين جيء بهما إلى الرسول ﷺ وهو يصلي في مسجد الخيف بمنى، فجيء بهما ترعد فرائصهما هيبة من رسول الله ﷺ ؛ لأن الرسول ﷺ كان من رآه بداهة هابه، فله هيبة عظيمة، ومن خالطه أحبه، فقال لهما: ما منعكما أن تصليا معنا؟ فقالا: يا رسول الله، صلينا في رحالنا، قال: «إذا صليتما في رحالكما ثم أتيتما مسجد جماعة فصليا معهم فإنها لكما نافلة».

[صحيح سنن أبي داود والترمذي والنسائي وغيرهم]

ثانيًا: إذا طاف الإنسان في وقت النهي، فإنه يصلي ركعتين خلف المقام وهذا أيضًا تخصيص.

ثالثًا: إذا جمع الإنسان بين الظهر والعصر، فإن سنة الظهر البعدية تصلى بعد العصر، فهذا تخصيص.

رابعًا: إذا فاتت الإنسان صلاة مفروضة وذكرها في وقت النهي فإنه يصليها، فحينئذ نقدم حديث: إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين، لأنه محفوظ (لم يخصص أو خصص قليلاً) على حديث: لا صلاة بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس لأنه غير محفوظ. (دخله التخصيص الكثير).

٧- ترجيح ما كانت صفات القبول فيه أكثر على ما دونه:

وهذا في الحديث الشاذ والمحفوظ، فالحديث الشاذ: ما رواه الثقة مخالفًا لمن هو أرجح منه عددًا أو حفظًا.

فلو لدينا رجلان رويا عن شيخ حديثًا، كل واحد منهما رواه على وجه يخالف الآخر وكل منهما ثقة، لكن أحدهما أقوى في الأوثقية وأشد وثوقًا في الشيخ، مثل أن يكون صهره أو ابن عمه أو ابن أخيه أو خادمه- مثل نافع عن ابن

عمر- فهنا نقدم الثاني، لأن صفات القبول فيه أقوى وأكثر من الآخر.

مثال للشذوذ في المتن:

أخرج أبو داود من طريق همام بن يحيى قال: حدثنا قتادة عن الحسن عن سمرة عن رسول الله ﷺ: كل غلام رهينة بعقيقته، تذبح عنه يوم السابع، ويحلق رأسه ويُدمَّى.

فكل من روى الحديث عن قتادة وهم أكثر وأضبط قالوا: ويُسمَّى بدلاً من «ويدمَّى» ومنهم سعيد بن أبي عروبة وهو من أثبت أصحاب قتادة، وصاحب رواية «ويدمَّي» وهو همام بن يحيى ليس من الطبقة الأولى من أصحاب قتادة وهو صاحب أوهام فيما يرويه عنه، فرواية همام بهذا اللفظ شاذة ونرجح عليها الرواية الأخرى المحفوظة، وهي قوله ﷺ: «ويُسمَّى».

مثال آخر للشذوذ في المتن:

روى البخاري في صحيحه من طريق معمر بن راشد، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا صلى أحدكم ركعتي الفجر فليضطجع». وفي صحيح سنن أبي داود أنه كان يضطجع على شقه الأيمن.

وقد أخذ ابن حزم بظاهر هذا الحديث وقال ببطلان من لايضطجع لأن الأمر يقتضي الوجوب وأغرب في هذا جدًا.

وقد روى هذا الحديث مع معمر جماعة حوالي خمسة كلهم اجتمعوا على رواية الحديث بجعل الضجعة بعد ركعتي الفجر.

لكن خالفهم الإمام مالك فروى هذا الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن النبي ﷺ كان يصلي من الليل إحدى عشرة ركعة يوتر منها بواحدة، فإذا فرغ اضطجع على شقه الأيمن. [موطأ الإمام مالك ٢٥٤]

فالحديث الأول يعارض الثاني ولا يمكن الجمع بينهما إلا إذا قلنا إن هناك موضعين للضجعة وهذا لم يأت به دليل.

فرجَّح العلماء رواية البخاري، وجعلوا رواية مالك شاذة. [محاضرة للشيخ أبي إسحاق الحويني]

مثال للشذوذ في الإسناد:

ما أخرجه الإمام أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم من طرق: عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة بن اليمان: أن النبي ﷺ أتى سباطة قوم فبال عليها قائمًا، فأتيته بوضوء فذهبت لأتأخر عنه فدعاني حتى كنت عند عقبيه، فتوضأ ومسح على خفيه.

فقد روى هذا الحديث عن الأعمش جماعة منهم: ابن عيينة، ووكيع، وشعبة، وأبو عوانة، وعيسى بن يونس، وأبو معاوية، وغيرهم.

وخالفهم أبو بكر بن عياش، وهو ثقة له أخطاء، فرواه عن الأعمش عن أبي وائل عن المغيرة بن شعبة.

فنرجح الرواية الأولى عن حذيفة فهي المحفوظة، أما الرواية الثانية فشاذة.

٨- ترجيح صاحب القصة على غيره:

فلو روى صاحب القصة حديثًا، وروى غيره حديثًا يخالفه- في نفس القصة- قدمنا صاحب القصة؛ لأنه أدرى بها، فالقصة وقعت له وهو أحفظ لها.

مثال: روى ابن عباس- رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ تزوج ميمونة وهو محرم. [متفق عليه]

وروت ميمونة رضي الله عنها أن النبي ﷺ تزوجها وهو حلال. [مسلم]

وأبو رافع وهو الواسطة بينها وبين الرسول ﷺ روى أن الرسول ﷺ تزوجها وهو حلال.

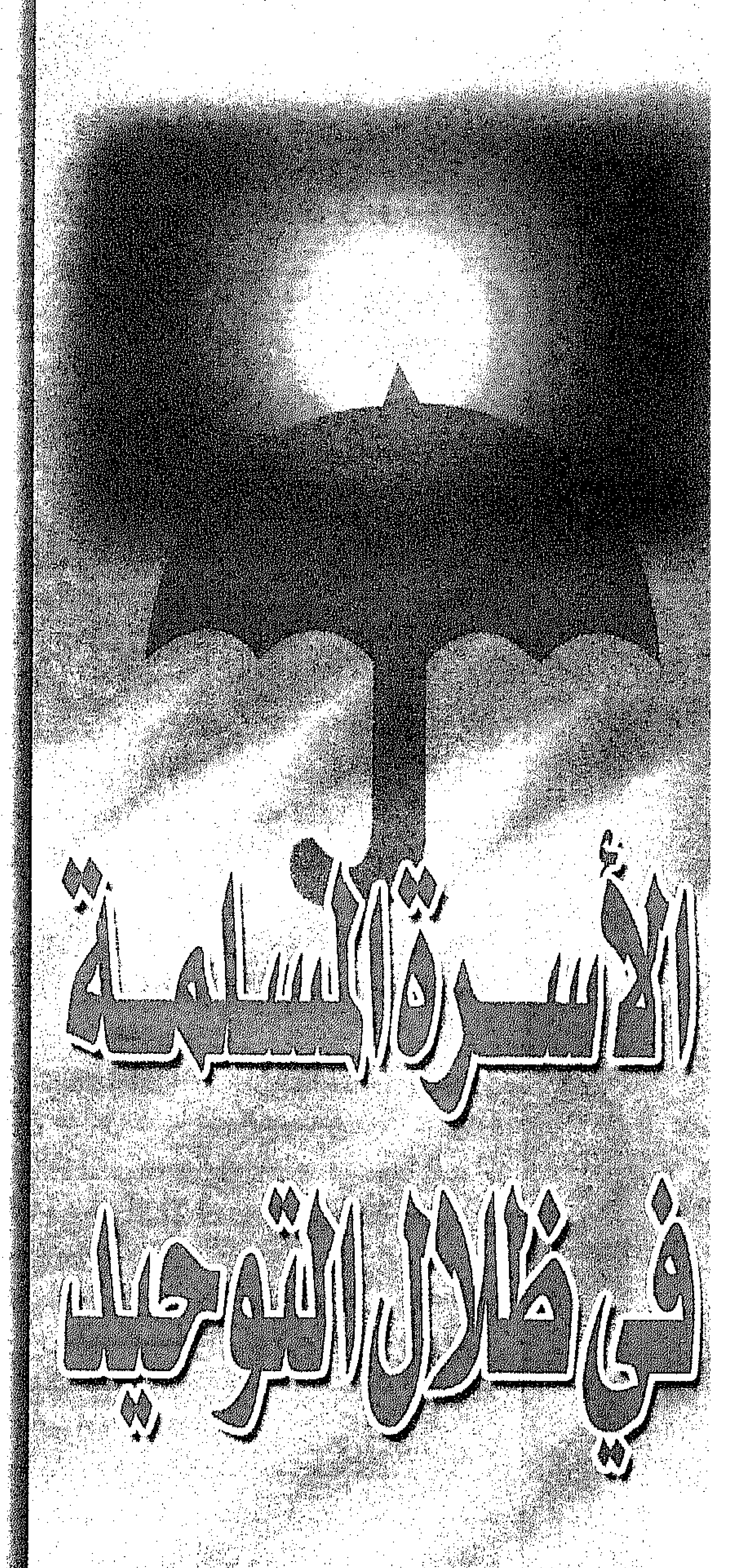
فنرجح رواية ميمونة لأنها صاحبة القصة على رواية ابن عباس.

وإن كان بعض أهل العلم ذهب إلى ترجيح رواية ابن عباس لأنها في الصحيحين على رواية ميمونة لأنها في صحيح مسلم، وذهبوا إلى أن نكاح المحرم حرام إلا الرسول ﷺ وجعلوا ذلك من خصائصه ﷺ.

يقول الشيخ ابن عثيمين في شرح الأصول: نعم هو من خصائصه ﷺ لولا ما هو أقوى منه- وهو حديث ميمونة نفسها وحديث السفير بينهما وهو أبو رافع.

وكما ذكرت فإن وجوه الترجيح كثيرة جدًا لا تنحصر، والضابط فيه: أنه متى اقترن بأحد الدليلين ما يقويه ويُغلب جانبه وحصل بذلك الاقتران زيادة ظن أفاد ذلك ترجيحه على الآخر، والله أعلم.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.



الأسرة المسلمة في ظلال التوحيد

إعداد
جمال عبد الرحمن

الحمد لله الذي مَنَّ علينا بتوحيده، وذلك من فضل الله علينا وعلى عبيده، والصلاة والسلام على خاتم أنبياء الله ورسله ﷺ، وبعد:

الثبات على التوحيد:

فعن أبي الدرداء يرفعه إلى النبي ﷺ قال: «لا تشرك بالله شيئًا وإن قُطعت وحُرقت ولا تترك صلاة مكتوبة متعمدًا فمن تركها متعمدًا فقد برئت منه الذمة، ولا تشرب الخمر فإنها مفتاح كل شر».

[صحيح: انظر صحيح الجامع حديث رقم: ٧٣٣٩]

وهكذا يشحذ رسول الله ﷺ همم المسلمين للثبات على الحق، والممات على التوحيد الخالص.

وعن بيان ما ينبغي لرب البيت وراعي الأسرة المسلمة من حماية جناب التوحيد، ووقاية أهله من الوقوع في الشرك ومفارقته، نعرض ما حدث مع هذا النموذج الجليل داخل أسرة مسلمة بين جدران بيت مسلم، هذا النموذج وهذا البيت هو بيت الصحابي التقي الورع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه جاء ذلك في روايات؛ منها: الرواية الأولى أخرجها ابن حبان في صحيحه (١٣/٦٠٩٠) عن يحيى بن الجزار قال: دخل عبد الله على امرأته وفي عنقها شيء معوذ فجذبه فقطعه ثم قال: لقد أصبح آل عبد الله أغنياء أن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك». قالوا: يا أبا عبد الرحمن هذه الرقى والتمائم قد عرفناها فما التولة؟ قال: شيء يصنعه النساء يتحببن به إلى أزواجهن. والرواية الثانية رواية ابن ماجه عن زينب قالت: كانت عجوز تدخل علينا ترقي من الحمرة، وكان لنا سرير طويل القوائم، وكان عبد الله إذا دخل تنحنح وصوت، فدخل يومًا فلما سمعتْ صوته احتجبتْ منه، فجاء فجلس إلى جانبي، فمسني فوجد مس

خيط، فقال: ما هذا؟ فقلت: رقي لي فيه من الحمرة، فجذبه فقطعه فرمى به وقال: لقد أصبح آل عبد الله أغنياء عن الشرك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك». قلت: فإني خرجت يومًا فأبصرني فلان فدمعت عيني التي تليه فإذا رقيتها سكنت دمعتها وإذا تركتها دمعت، قال: ذلك الشيطان إذا أطعته تركك، وإذا عصيته طعن بإصبعه في عينك، ولكن لو فعلت كما فعل رسول الله ﷺ كان خيرًا لك وأجدر أن تشفين تنضحين في عينك الماء وتقولين: «أذهب البأس رب الناس اشف أنت الشافي لا شفاءَ إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا».

[سنن ابن ماجه ٢/ص١١٦٦، وقال الألباني: صحيح]

وأما الرواية الثالثة: فهي رواية الحاكم وذُكر فيها اسم المرأة التي كانت ترقي زينب امرأة عبد الله بن مسعود، كما ظهر في الرواية شدة ابن مسعود على امرأته لما رأى عليها مظهرًا من مظاهر الشرك، وجذبه إياها حتى كادت تقع على وجهها.

عن أم ناجية قالت: دخلتُ على زينب امرأة عبد الله أعوذها من حمرة ظهرت بوجهها وهي معلقة بحرز فإني لجالسة دخل عبد الله فلما نظر إلى الحرز أتى جذعًا معارضًا في البيت فوضع عليه رداءه ثم حسر عن ذراعيه فأتاها فأخذ بالحرز فجذبها حتى كاد وجهها أن يقع في الأرض فانقطع ثم خرج من البيت فقال: لقد أصبح آل عبد الله أغنياء عن الشرك، ثم خرج فرمى بها خلف الجدار، ثم قال: يا زينب أعندي تعلقين؟ إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نُهي عن الرقى والتمائم والتِّولة». فقالت أم ناجية: يا أبا عبد الرحمن، أما الرقى والتائم فقد عرفنا؛ فما التولة؟ قال: التولة ما يهيج النساء. [المستدرك ٤/٢٤١]

قال السيوطي: قد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط:

١- أن تكون بكلام الله أو بأسمائه وصفاته.

٢- باللسان العربي وما يُعرف معناه.

٣- أن يُعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله تعالى. [فتح المجيد ص١٤٥]

قال المناوي رحمه الله: والرقى أي التي لا يُفهم معناها، إلا التعوذ بالقرآن ونحوه فإنه محمود. و«التمائم» جمع تميمة وأصلها خرزات تعلقها العرب على رأس الولد لدفع العين. و«التولة» بكسر التاء وفتح الواو كعنبة؛ ما يُحَبِّبُ المرأة إلى الرجل من السحر، وقد سمى النبي ﷺ ذلك شركًا لأن المتعارف فيها في عهده ما كان معهودًا في الجاهلية وكان مشتملاً على ما يتضمن الشرك، أو لأن اتخاذها يدل على اعتقاد تأثيرها ويفضي إلى الشرك. ذكره القاضي رحمه الله.

وقال الطيبي: المراد بالشرك: اعتقاد أن ذلك سبب قوي وله تأثير، وذلك ينافي التوكل. اهـ.

والمقصود بالحمرة التي ظهرت بوجهها حُمرة الوجه، وهي حمرة تعلو الجسد من المرض، وكل هذه الأشياء من الرقى والتمائم والتولة، كلها باطلة لإبطال الشرع إياها؛ لأن اتخاذها يدل على اعتقاد تأثيرها وهو يفضي إلى الشرك. ذكره القاري.

ومما سبق يتبين أن رجل البيت المسلم يجب أن ينصح أهله ويعلمهم ويدلهم على ما ينجيهم عند الله من عذابه، فيغير المنكر الذي يراه على أهله، ويرشدهم إلى المعروف الذي ينفعهم في دينهم ودنياهم.

همم عالية وطموحات جليلة

أيها المسلم، ما هي طموحاتك وأغلى أمانيك؟ وإذا عُرض عليك تحقيق أمنية

عظيمة لك؛ فماذا ستختار؟ غالبًا ستحتار، فتعلم من هؤلاء الأخيار:

عن ربيعة بن كعب الأسلمي قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي: «سل». فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة. قال: «أو غير ذلك؟» قلت: هو ذاك. قال: «فأعني على نفسك بكثرة السجود». [صحيح مسلم ٣٥٣/١]

وعنه رضي الله عنه قال: كنت أخدم النبي ﷺ نهاري، فإذا كان الليل أويت إلى باب رسول الله ﷺ فبت عنده فلا أزال أسمعه يقول: «سبحان الله سبحان الله ربي» حتى أمل أو تغلبني عيني فأنام، فقال يومًا: «يا ربيعة؛ سلني فأعطيك». فقلت: أنظرني حتى أنظر، وتذكرت أن الدنيا فانية منقطعة، فقلت: يا رسول الله، أسألك أن تدعو الله أن ينجيني من النار ويدخلني الجنة، فسكت رسول الله ﷺ ثم قال: «من أمرك بهذا؟» قال: قلت: ما أمرني به أحد، ولكني علمت أن الدنيا منقطعة فانية، وأنت من الله بالمكان الذي أنت منه، فأحببت أن تدعو الله قال: إني فاعل فأعني بكثرة السجود.

قلت: في الصحيح بعضه رواه الطبراني في الكبير وفيه ابن إسحاق، قاله الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٤٩/٢).

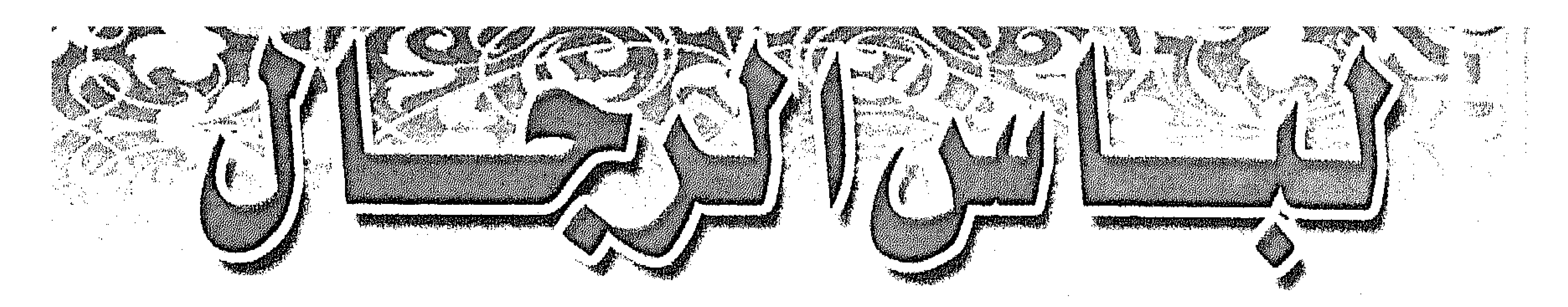
وهذا نموذج آخر من رجال مدرسة النبي محمد ﷺ، وهو معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال له النبي ﷺ: «سلني يا معاذ». قال: قلت: حدثني يا رسول الله عن عمل يدخلني الجنة، قال: «بخ بخ، قد سألت عن عظيم إلا أنه يسير، تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة وتعبد الله وحده». ثم أقبلت عليه أسأله قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أفضل الصلاة بعد الصلاة؟ قال: «لا ونِعْم ما هي».

قلت: يا رسول الله، الزكاة بعد الزكاة المفروضة؟ قال: «لا ونِعم ما هي». قلت: يا رسول الله، فالصيام بعد الصيام المفروض، قال: «لا، ونعم ما هو». قال: «ألا أخبرك يا معاذ برأس هذا الأمر وقوامه وذروة السنام منه؟» قلت: نعم يا رسول الله، قال: «رأس هذا الأمر تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن قوامه إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وأن ذروة السنام منه الجهاد في سبيل الله، والذي نفسي بيده ما تغبرت قدما عبد قط ولا وجهه في عمل أفضل عند الله بعد الصلاة المفروضة من جهاد في سبيله، ألا أخبرك يا معاذ بأملك الناس من ذلك؟» قلت: نعم، فوضع إصبعه على لسانه، فقلت: يا رسول الله، أو كلما نقول بألسنتنا يُكتب علينا؟ فضرب منكبي الأيسر بيده اليمنى حتى أوجعني ثم قال: «ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم».

[المعجم الكبير٢٠/ص٧٥]

وهذا الشهيد الصالح عبد الله والد جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال النبي ﷺ لجابر: «ألا أبشرك عما لقي أبوك؟ إن الله كلم أباك من غير حجاب». فقال له: «عبدي، سلني، فقال: يا رب رُدني إلى الدنيا حتى أقتل فيك». قال: «فإني قد قضيت عليهم ألا يرجعوا». قال: يا رب فأبلغهم عنا، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ وعبد الله هو عبد الله بن عمرو بن حرام، قُتل يوم أحد شهيدًا. [أخرجه الترمذي وغيره، وحسنه الألباني]

رحم الله تعالى هؤلاء الأخيار، وجمعنا بهم في خير دار.



لباس الرجال

إعداد/ محمد فتحي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وبعد فنخص هذا المقال بالحديث عن شروط لباس الرجال فنقول مستعينين بالله تعالى:

باب لباس الرجال أوسع من باب لباس النساء؛ لأن الأصل في المرأة أن تقر في بيتها وأن لا تخرج إلا لحاجة، بخلاف الرجل؛ فالأصل سعيه في الأرض واكتساب المعاش الحلال، لذا كان باب اللباس في حقه أوسع.

لكن لا يعني ذلك أن يلبس الرجل ما يشاء وما يهوى من غير أن ينضبط بضابط الشرع المحكم.

وقد ظهرت في هذا الزمان أشكالٌ من اللباس- أعني لباس الرجال- تزري بلابسها؛ وملابس قصيرة وما يسمى بالشورتات (السراويل القصيرة) لم يستح كثير من الرجال والشباب اليوم أن يظهروا بها في مجامع الناس ومنتدياتهم؛ إذا لبست الثوب إلى منتصف الساق قالوا تشدد وتزمت ورجعية ومنظر قبيح، وإذا لبس هو مثل هذا اللباس إلى منتصف الساق قالوا هذا موضة، فسبحان الله!!! سنة المختار تزمت وتخلف ورجعية ومنظر قبيح، والتشبه بالكفار والفجار وأرباب العهر والفسوق حضارة ومدنية ورقي، فإلى الله المشتكى وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وترجع أهمية الحديث عن لباس الرجال في زمن الغربة وبيان المشروع منه والممنوع إلى عوامل كثيرة منها:

-اعتقاد الكثير أنه لا ممنوع في اللباس وبما أن اللباس من العادات فللإنسان أن يرتدي ما يشاء وأن يلبس ما يريد.

-اهتمام العلماء والدعاة وطلبة العلم وانشغالهم بالحديث عن لباس المرأة المسلمة- وحق لهم- ومواجهة الحملات المسعورة للقضاء على عفة المرأة وكرامتها.

-قلة المصنفات التي تعالج أحكام لباس الرجال وبيان المشروع منه والممنوع.

لما سبق وغيره تأتي أهمية الحديث عن هذا الموضوع.

وسوف ينتظم البحث في لباس الرجال حول سبعة عناصر وهي:

١- شروط يجب توافرها في لباس الرجال.
٢- ما يستحب في لباس الرجال.
٣- محاذير في لباس الرجال.
٤- لباس الرجال في الصلاة.
٥- لباس الرجال في الإحرام.
٦- لباس الرجال في الكفن.
٧- فتاوى تتعلق بلباس الرجال.

أولاً: شروط يجب توافرها في لباس الرجال:

أ- أن يكون مباحاً طاهراً:

يشترط في اللباس عموماً سواءً كان لباس رجل أو امرأة أن يكون مباحاً طاهراً فلا يجوز لبس المسروق والمغصوب ونحوهما، كما أنه لا يجوز للرجال لبس الحرير أو ما تلبسه النساء، وكذلك لا يجوز لبس النجس، ولا ما فيه تصاوير لذوات الأرواح، وكل هذا واضح بيِّن مقرر في كتب الفقهاء، وتعظم المسألة إذا لبس ذلك وصلى فيه.

ب- أن يكون ساتراً للعورة:

وعورة الرجل كما هو معلوم أنها بين السرة والركبة على خلاف مشهور في الفخذ

قال النووي: وعورة الرجل حرا كان أو عبدا ما بين السرة والركبة على الصحيح.

وقال ابن قدامة المقدسي: وعورة الرجل ما بين سرته وركبته لما روى أبو أيوب الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين السرة وبين

الركبتين عورة» رواه أبو بكر بإسناده، وعن جرهد أن رسول الله ﷺ قال له: «غط فخذك فإن الفخذ من العورة». رواه أحمد في المسند.

وهناك أمور تنافي كون اللباس ساتراً للعورة كأن يكون ضيقاً يصف أو رقيقاً يشف

قال الكاساني: فإن كان الثوب رقيقًا يصف ما تحته لا يجوز لأن عورته مكشوفة من حيث المعنى.

وقال إبراهيم بن علي الشيرازي: ويجب ستر العورة بما لا يصف البشرة من ثوب صفيق أو جلد، فإن ستر بما يظهر منه لون البشرة من ثوب رقيق لم يجز لأن الستر لا يحصل بذلك.

وقال محمد بن أحمد الغرناطي: وأما الساتر فيجب أن يكون صفيقًا كثيفًا فإن ظهر ما تحته فهو كالعدم.

يظهر مما سبق أن ستر العورة لا يحصل مع كون اللباس ضيقاً يبرز العورة ويفصلها ويبين حجمها كما هو الحال في كثير من هذه السراويلات التي يلبسها الناس اليوم والتي وجودها كالعدم.

ج- أن لا يشبه لباس النساء:

استفاضت السنن عن النبي ﷺ في الصحاح وغيرها بلعن المتشبهات من النساء، بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء، وفى رواية أنه لعن المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل.

قال أبو الطيب:قال الطبري: المعنى لا يجوز للرجال التشبه بالنساء في اللباس والزينة التي تختص بالنساء ولا العكس.

وقال ابن حجر:قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة نفع الله به ما ملخصه: ظاهر اللفظ الزجر عن التشبه في كل شيء لكن عرف من الأدلة الأخرى أن المراد التشبه في الزي والحركات ونحوها لا التشبه في أمور الخير.

وقال أيضا: اللعن الصادر من النبي ﷺ على ضربين: أحدهما: يراد به الزجر عن الشيء الذي وقع اللعن بسببه وهو مخوف فإن اللعن من علامات الكبائر.

قال المناوي: قال النووي: حرمة تشبه الرجال بالنساء وعكسه لأنه إذا حرم في اللباس ففي الحركات والسكنات والتصنع بالأعضاء والأصوات أولى بالذم والقبح فيحرم على الرجال التشبه بالنساء وعكسه في لباس اختص به المشبه به بل يفسق فاعله للوعيد عليه باللعن.

قال الشوكاني: قوله لعن الله المتشبهين من الرجال الخ فيه دليل على أنه يحرم على الرجال التشبه بالنساء وعلى النساء التشبه بالرجال في الكلام واللباس والمشي وغير ذلك.

قال شيخ الإسلام: الضابط فى نهيه عن تشبه الرجال بالنساء وعن تشبه النساء بالرجال أن الأصل فى ذلك ليس هو راجعا إلى مجرد ما يختاره الرجال والنساء ويشتهونه ويعتادونه فإنه لو كان كذلك لكان إذا اصطلح قوم على أن يلبس الرجال الخمر التي تغطي الرأس والوجه والعنق والجلابيب التي تسدل من فوق الرؤوس حتى لا يظهر من لابسها إلا العينان وأن تلبس النساء العمائم والأقبية المختصرة ونحو ذلك أن يكون هذا سائغا وهذا خلاف النص والإجماع فإن الله تعالى قال للنساء: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾، الآية، وقال: ﴿قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ الآية، وقال: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾، فلو كان اللباس الفارق بين الرجال والنساء مستنده مجرد ما يعتاده النساء أو الرجال باختيارهم وشهوتهم لم يجب أن يدنين عليهن الجلابيب ولا أن يضربن بالخمر على الجيوب ولم يحرم عليهن التبرج تبرج الجاهلية الأولى لأن ذلك كان عادة لأولئك... إلى أن قال رحمه الله: فالفارق بين لباس الرجال

والنساء يعود إلى ما يصلح للرجال وما يصلح للنساء وهو ما يناسب ما يؤمر به الرجال وما تؤمر به النساء.

وقال: والرجل المتشبه بالنساء يكتسب من أخلاقهن بحسب تشبهه حتى يفضي الأمر به إلى التخنث المحض والتمكين من نفسه كأنه امرأة. اهـ.

وإنك لا تستطيع أن تفرق بين لباس الرجل والمرأة في كثير من بلاد المسلمين وهذا مما يؤسف له، فالله المستعان.

د - أن لا يشبه لباس الكافرين:

مفارقة المسلم للمشرك والكافر ظاهراً وباطناً أمر مقصود شرعًا، فكما حصل التفريق في الباطن بالاعتقادات وجب التفريق في الظاهر باللباس، لذا جاءت الأدلة الكثيرة المتظاهرة تحرم التشبه وتوجب التميز فإن المشابهة في الظاهر توجب المشابهة في الباطن وهذا من جملة مقاصد الشريعة الكاملة المطهرة؛ إذ المقصود الأعظم هو ترك الأسباب التي تدعو إلى موافقتهم ومشابهتهم باطنا وظاهراً.

وقد نقل غير واحد من أهل العلم إجماع المسلمين على التميز عن الكفار ظاهرا وترك التشبه بهم في اللباس وغيره، أما ترك المشابهة في الباطن فهذا أمر لا يختلف فيه اثنان.

قال العلامة ابن القيم: فليس المقصود من التمييز في اللباس وغيره مجرد تمييز الكافر عن المسلم بل هو من جملة المقاصد، والمقصود الأعظم ترك الأسباب التي تدعو إلى موافقتهم ومشابهتهم باطنًا، والنبي ﷺ سن لأمته ترك التشبه بهم بكل طريق وقال خالف هدينا هدي المشركين. اهـ.

فالمقصود الأعظم من التميز إذن هو قطع الأسباب عن مشابهة المغضوب عليهم والضالين ظاهراً وباطناً، وليس المقصود عدم لبس ما يصنعون أو ينسجون.

قال ابن عثيمين رحمه الله: وإذا قيل تشبه بالكفار فلا يعني ذلك أن لا نستعمل شيئاً من صنائعهم فإن ذلك لا يقوله أحد، وقد كان الناس في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وبعده يلبسون ما يصنعه الكفار من اللباس، ويستعملون ما يصنعونه من الأواني،

والتشبه بالكفار هو التشبه بلباسهم، وحلاهم، وعاداتهم الخاصة، وليس معناه أن لا نركب ما يركبون، أو لا نلبس ما يلبسون، لكن إذا كانوا يركبون على صفة معينة خاصة بهم فلا نركب على هذه الصفة، وإذا كانوا يخيطون الثياب على صفة معينة خاصة بهم فلا نصنع مثل هذا الضيع، وإن كنا نركب مثل السيارة التي يركبونها، ونخيط من نوع النسيج الذي يخيطون منه.

ثانياً: ما يستحب في لباس الرجال:

١. لبس القميص:

يستحب للرجال لبس القميص لأنه أستر للعورة وأكمل في الزينة، وقد كان القميص أحب اللباس لرسول الله ﷺ.

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كان أحب الثياب إلى رسول الله ﷺ القميص. وفي رواية لأبي داود لم يكن ثوب أحب إلى رسول الله ﷺ من القميص.

قال ابن القيم: ولبس القميص ﷺ وكان أحب الثياب إليه وكان كمه إلى الرسغ.

٢. اللباس الأبيض:

اللون الأبيض من خير الألوان وأحبها إلى النفس وأجلاها للبصر وهو دليل الصفاء والنقاء.

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: البسوا من ثيابكم البياض فإنها من خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم ....».

قال أبو الطيب: والحديث يدل على استحباب لبس البيض من الثياب وتكفين الموتى بها قال في النيل والأمر في الحديث ليس للوجوب؛ أما في اللباس فلما ثبت عنه ﷺ من لبس غيره (أي غير الأبيض) وإلباس جماعة من الصحابة وعثمان وتقريره لجماعة منهم لبس

غير البياض وأما في الكفن فلما ثبت عند أبي داود قال الحافظ بإسناد حسن من حديث جابر مرفوعا: «إذا توفي أحدكم فوجد شيئا فليكفن في ثوب حبرة». انتهى.

قال ابن القيم: وكان أحب الألوان إليه البياض وقال هي من خير ثيابكم فالبسوها وكفنوا فيها موتاكم.

والأبيض هو لباس الملائكة المقاتلين مع المسلمين يوم أحد.

عن سعد قال: رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بياض ما رأيتهما قبل ولا بعد يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام.

٣- لبس أحسن الثياب في الجمعة والعيدين:

السنة أن يغتسل المرء وهو خارج إلى الجمعة والعيدين، ويلبس أحسن ما عنده من الثياب، ويتطيب ويتزين، لأنه من باب تعظيم شعائر الله، والأفضل أن يخصص ملابس حسنة جميلة نظيفة للجمعة والعيدين.

قال ابن القيم: يستحب أن يلبس فيه أي يوم الجمعة أحسن الثياب التي يقدر عليها فقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي أيوب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب إن كان له، ولبس من أحسن ثيابه ثم خرج وعليه السكينة حتى يأتي المسجد ثم يركع إن بدا له ولم يؤذ أحدا ثم أنصت إذا خرج إمامه حتى يصلي كانت كفارة لما بينهما».

وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول على المنبر في يوم الجمعة: «ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته».

وفي سنن ابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ خطب الناس يوم الجمعة فرأى عليهم ثياب النمار فقال: «ما على أحدكم إن وجد سعة أن يتخذ ثوبين لجمعته سوى ثوبي مهنته». والنمار هي جلود النمور.

قال شيخ الإسلام: ولهذا كان تميم الداري قد اشترى حلة بألف درهم فكان يصلي فيها بالليل، وقال نافع: رآني ابن عمر وأنا أصلي في ثوب واحد فقال: ألم أكسك؟ قلت: بلى، قال أرأيتك لو بعثتك في حاجة كنت تذهب هكذا؟ قلت: لا، قال: الله أحق أن تتزين له. رواه ابن بطة، ويدل على ذلك قول النبي صلى الله عليه و سلم: «فالله أحق أن يستحيا منه». ويستحب له أيضا ستر رأسه بالعمامة ونحوها لأن النبي ﷺ كان يصلي كذلك، وهو من تمام الزينة والله تعالى أحق من تزين له.

٤- التواضع في اللباس:

التواضع في كل شيء مطلوب ومرغوب، في الملبوس، والمأكول، والمركوب، والمسكون، فمن تواضع لله رفعه، ومن تكبر أذله الله، والتواضع سمة المتقين، والإسراف سمة الجهلة والمتكبرين، ولهذا نهى الشارع الحكيم عن لباس الشهرة.

قال ابن القيم: وكذلك لبس الدنيء من الثياب يذم في موضع ويحمد في موضع، فيذم إذا كان شهرة وخيلاء ويمدح إذا كان تواضعًا واستكانة، كما أن لبس الرفيع من الثياب يذم إذا كان تكبرًا وفخرًا وخيلاء ويمدح إذا كان تجملاً وإظهارًا لنعمة الله.

ففي صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثال حبة خردل من إيمان». فقال رجل: يا رسول الله، إني أحب أن يكون ثوبي حسنا ونعلي حسنة أفمن الكبر ذاك؟ فقال: «لا، إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس».

والحمد لله رب العالمين.

تحذير الداعية من القصص الواهية

قصة سؤال موسى عليه السلام ربه شيئًا يذكره به

الحلقة الرابعة والستون

إعداد

الشيخ/ علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الخطباء والوعاظ والقُصّاص.

أولاً: متن القصة:

رُوِي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «قال موسى عليه السلام: يا رب علمني شيئًا أذكرك به وأدعوك به؟ قال: قل يا موسى: لا إله إلا الله. قال: كل عبادك يقول هذا. قال تعالى: قل لا إله إلا الله، قال موسى: لا إله إلا أنت إنما أريد شيئًا تخصني به، قال تعالى: يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله».

ثانيًا: التخريج:

هذه القصة أخرجها الإمام النسائي في «السنن الكبرى» (٦/٢٠٩) (ح١٠٦٧٠)، وأبو يعلى في «المسند» (٢/٥٢٨) ح(١٣٩٣)، وابن حبان ح(٢٣٢٤- موارد)، والحاكم في «المستدرك» (١/٥٢٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص١٦٤)، والطبراني في الدعاء ح(١٤٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/٣٢٧) كلهم من طريق دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد به مرفوعًا.

ثالثًا: التحقيق:

هذه القصة واهية وسندها غريب من حديث دراج عن أبي الهيثم.

أ- فقد أوردها الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (٣/١٨٠) وقال:

١- دراج بن سمعان يقال اسمه عبد الرحمن، ودراج لقب، أبو السمح القرشي السهمي مولاهم المصري القاصُّ.

٢- قال عبد الله بن أحمد عن أبيه: «حديثه منكر».

٣- وقال فضلك الرازي: «ليس بثقة ولا كرامة».

٤ ـ وقال الدارقطني: «ضعيف». وقال في موضع آخر: «متروك».

٥- وقال النسائي: «ليس بالقوي»، وقال في موضع آخر: «منكر الحديث».

ب- وأوردها الإمام ابن عدي في «الكامل» (٣/١١٢) (٢٥/٦٤٧) وقال:

١- سمعت ابن حماد يقول: دراج أبو السمح منكر الحديث. قاله أحمد بن شعيب النسائي.

٢- حدثنا ابن أبي عصمة، قال: حدثنا أحمد بن أبي يحيى قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: «أحاديث دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد فيها ضعف».

٣- ثم ساق له ابن عدي أحاديث وقال: «عامة هذه الأحاديث مما لا يتابع دراج عليه».

قلت: وأحاديث دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد غير مستقيمة. قاله الآجري عن أبي داود. كذا في «التهذيب» (١٨١/٣)، وهذه القصة منها، ولقد بيّن الإمام الذهبي في «الميزان» (٢٦٦٧/٢٤/٢) أنه كان قصاصًا، قال ابن يونس: كان يقص بمصر، مات سنة ست وعشرين ومائة، ثم أقرّ الإمام الذهبي أقوال الأئمة التي أوردناها آنفًا في دراج بأنه «منكر الحديث» خاصة في روايته عن أبي الهيثم عن أبي سعيد، وبين أن لابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج نسخة عن أبي الهيثم عن أبي سعيد مرفوعًا ثم أورد أحاديث منكرة منها. وبهذا السند جاءت القصة فهي واهية منكرة.

جـ- ولقد أورد هذه القصة الشيخ الألباني رحمه الله في «ضعيف الترغيب والترهيب» (٤٦٠/١) (ح٩٢٣) وبين علتها وضعفها.

رابعًا: دلائل نكارة المتن:

لقد بينا من التحقيق أن الحديث الذي جاءت به القصة منكر ودلائل النكارة ظاهرة على المتن.

١- من قوله: «عامرهن غيري» حيث أثبت حلول الله في السماء وهذا لا يقوله أحد من أهل السنة أن الله من عمار السماء ولا يتوهم الحلول من قوله تعالى: ﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ ﴾ [الملك: ١٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٥٢/٣): «وكذلك قوله تعالى: ﴿ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ﴾.

من توهم أن مقتضى هذه الآية أن يكون الله في داخل السماوات فهو جاهل ضال بالاتفاق.

ولما كان قد استقر في نفوس المخاطبين أن الله هو العلي الأعلى وأنه فوق كل شيء كان المفهوم من قوله: إنه (في السماء) أنه في العلو، وأنه فوق كل شيء.

وإن قدر أن السماء المراد بها الأفلاك: كان المراد أنه عليها، كما قال: ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾، وكما قال: ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ وكما قال: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾. أهـ.

قلت: وهذا البيان نقله الدكتور محمد خليل هراس في «شرح العقيدة الواسطية» طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ص(٦٤، ٨٣) حيث قال: «ولا يجوز أن يفهم من قوله في السماء أن السماء ظرف حاوٍ له سبحانه بل إن أريد بالسماء هذه المعروفة (ففي) بمعنى (على) كما في قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، وإن أريد بها جهة العلو (ففي) على حقيقتها فإنه سبحانه في أعلى العلو».

٢- ومن دلائل نكارة رواية دراج عن أبي الهيثم، مراجعة موسى ربه مرتين، وردُّه الذكر بكلمة التوحيد مرتين، بدعوى أنه يريد شيئًا يخصه به غير كلمة التوحيد، وكأن موسى عليه السلام لا يعرف مقدار فضل هذه الكلمة التي بين النبي ﷺ أنها أفضل جميع شعب الإيمان كما في صحيح مسلم (ح٥٨) من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان».

وكذا البخاري واللفظ لمسلم كما هو مبين، وحمى الله موسى عليه السلام من هذه القصص المنكرة، فالمرسلون جميعًا أعلم الناس بفضل لا إله إلا الله، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

بل موسى عليه السلام في بدء الوحي قال له رب العزة: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (١٣) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٣، ١٤].

وبدء الوحي بهذا في غاية التناسب لأن موسى عليه السلام ذاهب إلى فرعون الذي قال عنه رب العزة: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨].

فمن كان هذا شأنه فهو عالم بفضلها ومعناها، وعامل بمقتضاها.

خامسًا: بدائل صحيحة

هناك العديد من الأحاديث والقصص الصحيحة التي تبين فضل لا إله إلا الله بعيدة عن هذه المنكرات مؤدية هذا المعنى في غاية الوضوح، وهو أنَّ اسم الله لا يثقل معه شيء، فعلى سبيل المثال لا الحصر حديث البطاقة الذي أخرجه الترمذي في «السنن» (ح٢٦٣٩)، وابن ماجه في «السنن» ح(٤٣٠٠)، والحاكم في «المستدرك» (١/٦، ٥٢٩)، وأحمد في «المسند» (٢/٢١٣) من طريق الليث بن سعد عن عامر بن يحيى عن أبي عبد الرحمن الحبلي قال: سمعت عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: «إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مثل مد البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا، أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر، فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك، فيقول: ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال: إنك لا تُظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء».

سادسًا: تحقيق وفوائد

قال الحاكم: حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم.

قلت: ووافقه الذهبي في «التلخيص»، ونقله الألباني في «الصحيحة» (١/٢١٣) (ح١٣٥)، وأقره حيث قال: «وهو كما قالا».

ثم قال: «وفي الحديث دليل على أن ميزان الأعمال له كفتان مشاهدتان، وأن الأعمال وإن كانت أعراضًا فإنها توزن، والله على كل شيء قدير، وذلك من عقائد أهل السنة والجماعة والأحاديث في ذلك متضافرة وإن لم تكن متواترة». اهـ.

قلت: نعم هي متواترة، ولقد أثبت هذا التواتر الإمام الكتاني في كتابه «نظم المتناثر من الحديث المتواتر» (ح٢٩٦) قال: «أحاديث الصراط والميزان وإنطاق الجوارح وتطاير الصحف وأهوال الموقف وأحوال الجنة والنار».

نقل البرزلي عن «شرح الإرشاد» أنها متواترة، ونقله عنه أبو علي بن رحال في شرحه لمختصر خليل، وفي الشهاب على الشفا في الكلام على حديث الشفاعة الكبرى، ما نصه:

«وفي هذا ونحوه مما بلغ حد التواتر المعنوي رَدٌّ على المنكرين من أهل الكلام».

قلت: لذا قال ابن أبي العز في «شرح العقيدة الطحاوية» ص(٤١٩): «فعلينا الإيمان بالغيب كما أخبرنا الصادق ﷺ من غير زيادة ولا نقصان، وما خيبة من ينفي وضع الموازين القسط ليوم القيامة كما أخبر الشارع، لخفاء الحكمة عليه ويقدح في النصوص بقوله: «لا يحتاج إلى الميزان إلا البقال والفوال، وما أحراه بأن يكون من الذين لا يقيم الله لهم يوم القيامة وزنًا».

فاللهم اجعلنا ممن قلت فيهم: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الواقعة: ٦، ٧].

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.




تجيب عليها لجنة الفتوى

حكم اللعب بالنرد والشطرنج والكوتشينة

يسأل محمد محمود حسن. ميت غمر:

- ما حكم الشرع في اللعب بالنرد والشطرنج والكوتشينة؟!

- وما الحكم في ألعاب الأتاري والكمبيوتر. والبلاي استاشن، وما حكم التكسب منها على سبيل تأجير تلك الأجهزة للعب بها؟

- وهل صلاة المرأة في (البنطلون صحيحة؟!

الجواب: حكم اللعب بالنرد (وهو ما يطلق على مثل الدمنو والطاولة) والشطرنج والكوتشينة قال ابن قدامة في المغني: كل لعب فيه قِمار فهو محرم وهو من الميسر الذي أمر الله تعالى باجتنابه، ومن تكرر منه رُدَّت شهادته، وما خلا القمار وهو اللعب الذي لا عوض فيه من الجانبين ولا من أحدهما فمنه ما هو محرم ومنه ما هو مباح، فأما المحرم فاللعب بالنرد ... قال أبو موسى: سمعت رسول الله ﷺ قال: «من لعب النردشير فقد عصى الله ورسوله».

- وقال مالك من لعب بالنرد والشطرنج فلا أرى شهادته طائلة لأن الله تعالى يقول: فماذا بعد الحق إلا الضلال، وهذا ليس من الحق فيكون من الضلال.

قال: فأما الشطرنج فهو كالنرد في التحريم إلا أن النرد آكد منه في التحريم لورود النص في تحريمه، لكن هذا في معناه فيثبت فيه حكمه قياسا عليه .. وممن ذهب إلى تحريمه عليُّ بن أبي طالب وابن عمر وابن عباس وسعيد بن المسيب والقاسم، وسالم وعروة ومحمد بن علي بن الحسين ومطر الوراق ومالك وهو قول أبي حنيفة، وذهب الشافعي إلى إباحته حاكيا ذلك عن بعض السلف.

قال الإمام أحمد رحمه الله: أصح ما في الشطرنج قول علي رضي الله عنه لما مر على قوم يلعبون بالشطرنج فقال: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون.

وما قيل في الشطرنج والنرد يقال في الكوتشينة وما في معناها، والله أعلم.

حكم ألعاب الأتاري والكمبيوتر

- أما ألعاب الأتاري والكمبيوتر والبلاي ستيشن إذا كانت عبارة عن تحريك أشخاص على هيئة جنود متحاربة، أو طائرات متقاتلة، بقصد الترفيه وتعلم مراوغة الأعداء فلا بأس بها. وإن كان تحريك أشخاص يلعبون بقصد الترفيه والتعليم بدون قمار من طرف أو الطرفين، وبدون ظهور ما يعبر عن العورات كظهور الأفخاذ حتى ولو كانت صورًا غير حقيقية لكن لكي لا يتعلم الشباب أن ظهور الأفخاذ جائز، وبشرط ألا يصحبها موسيقى، وبشرط ألا تعطل عن واجب كطلب العلم الشرعي، والتعرف على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وكأداء الصلوات في مواقيتها في المسجد جماعة؛ فلا بأس بها أيضا بما تقدم من الشروط، علما بأن الترفيه في الإسلام مباح إذا لم يكن بمحرم، والترفيه استثناء وليس أصلا، بمعنى أن أصل الوقت للعمل والجد، والترفيه جزء يسير من الوقت لترويح النفس واستجمامها واستعادة نشاطها.

والذي يجعل له محلا يضع فيه هذه الأدوات الترفيهية للشباب إن استطاع أن يلتزم بالضوابط السابقة عند تأجيره المحل ساعة أو ساعتين بمقابل مالي لا حرج عليه في ذلك وإن لم يلتزم بالضوابط السابقة فلا يجوز له ممارسة هذه المهنة.

لقول الله تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ والله أعلم.

- أما عن صلاة المرأة في (البنطلون) فقد أخرج الحاكم عن أم سلمة رضي الله عنها أنها سألت النبي ﷺ أتصلي المرأة في درع وخمار ليس عليها إزار؟ قال: «إذا كان الدرع سابغًا يغطي ظهور قدميها» صحيح على شرط البخاري فعلى المرأة أن تستر بدنها كله في الصلاة إلا وجهها وكفيها.

وعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقوم إلى الصلاة في الخمار والإزار والدرع فتسبل الإزار فتتجلبب به، وكانت تقول: ثلاثة أثواب لابد للمرأة منها في الصلاة إذا وجدتها: الخمار والجلباب والدرع. [شرح العمدة]

فالواجب على المرأة الحرة المكلفة ستر جميع بدنها في الصلاة ما عدا الوجه والكفين لأنها عورة كلها فإن صلت وقد بدا شيء من عورتها كالساق والقدم والرأس أو بعضه لم تصح صلاتها لقول النبي ﷺ : «لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار». [رواه أحمد] وعلى المسلمة أن تلتزم باللباس الشرعي في الصلاة وهو الساتر لجميع بدنها، فلا يكون ضيقا فيجسم بدنها ولا شفافا فيظهره، ولا قصيرًا فيبدي بعض جسدها، فالبنطلون بالصورة الموجودة الآن لا تتحقق فيه هذه الشروط وبناء عليه لا تصح الصلاة فيه. والحمد لله رب العالمين والله أعلم.

حكم التواشيح والابتهالات

ـ يسأل محمد شحاتة محمد ـ ههيا ـ شرقية:

قام بعض الإخوة المصلين في مسجدنا بعد صلاة التراويح بالقاء بعض التواشيح والابتهالات الدينية فهل هذا العمل جائز شرعا، وهل يُنكر على فاعله أمام الناس. وجزاكم الله خيرا.

الجواب: الميزان الصحيح والمقياس الحق في هذه الأفعال قول النبي ﷺ : «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» [مسلم] فإذا لم يثبت العمل عن النبي ﷺ وأصحابه فيُنكر على فاعله ويُرشد إلى التزام السنة.

من ترك ركنا من أركان الصلاة

ـ يسأل سائل عن الحكم في ما لو ترك المصلي ركنا من أركان الصلاة؟

الجواب: لو ترك المصلي ركنا من أركان الصلاة كالفاتحة أو الركوع ناسيا أو متعمدًا بطلت صلاته، وتبطل الركعة وحدها إذا ترك فيها ركنا كالفاتحة مثلا وعليه الإتيان بركعة مكانها لتتم الصلاة وإلا بطلت كلها.

وقد قال النبي ﷺ : «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» [مسلم عن عبادة بن الصامت].

لا يجوز حل السحر بالسحر

ـ يسأل مصطفى عبد الله ـ قنا

هل يجوز حل السحر بالسحر؟

مع العلم أنه يوجد من أهل العلم من قال به مثل سعيد بن المسيب وغيره.

الجواب: لا يجوز أن يعالج السحر بالسحر ولكن يعالج بالرقية، وبقراءة القرآن والأذكار النبوية الواردة في الرقية، وبالدعاء وطلب الشفاء من الله. أهـ

لما ورد في الحديث الصحيح عن جابر عند أحمد وأبي داود أن رسول الله ﷺ سئل عن النشرة فقال: هي من عمل الشيطان.

قال العلامة ابن القيم: النشرة هي حل السحر عن المسحور، وهي نوعان؛ أحدهما: حَل السحر بسحر مثله وهو الذي من عمل الشيطان (كما في حديث جابر) فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب فيبطل عمله عن المسحور والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة فهذا جائز (وعليه عمل كلام من أباحها من العلماء كسعيد بن المسيب).

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ في فتح المجيد تعليقًا على قول سعيد ابن المسيب ـ رحمه الله ـ : وما قاله سعيد بن المسيب ـ رحمه الله ـ في ذلك يُحمل على نوع من النشرة لا يُعلم أنه سحر.

التنكيس في الصلاة

- يسأل أحمد عبد الله محمد - أسوان:

صليت إمامًا بالناس في صلاة الصبح الركعة الأولى بالعاديات والثانية بالزلزلة فقال لي أحد المصلين هذا تنكيس في الصلاة.

فهل هذا صحيح؟ وإن لم يكن صحيحًا فما هو التنكيس إذًا وهل الصلاة على النحو السابق صحيحة؟

الجواب: سئل الإمام أحمد عن ذلك فقال: لا بأس به؛ أليس يعلم الصبي على هذا؟ ويعني الإمام أحمد بذلك أن كل الصبيان يعلمون القرآن من سورة الناس فيقرءونه هكذا عند التعلم وعند المراجعة، وقد روي أن الأحنف قرأ بالكهف في الأولى وفي الثانية بيوسف؛ وذَكَرَ أنه صلى مع عمر الصبح بهما. استشهد به البخاري.

وقال النووي في شرحه لصحيح مسلم: والذي نقوله أن ترتيب السور ليس بواجب لا في الصلاة ولا في الدرس ولا في التلقين والتعليم وأنه لم يكن من النبي ﷺ في ذلك نص ولا حَدٌّ تحرم مخالفته.. إلى أن قال ولا خلاف أنه يجوز للمصلي أن يقرأ في الركعة الثانية سورة قبل التي قرأها في الأولى وإنما يكره ذلك في ركعة.

وذكر أن قراءة القرآن منكوسًا تأوله البعض على من يقرأ من آخر السورة إلى أولها لأن ترتيب آيات كل سورة بتوقيف من الله تعالى على ما عليه المصحف الآن، وهكذا نقلته الأمة عن نبيها ﷺ.

وقال ابن حجر: قال ابن بطال: لا نعلم أحدًا قال بوجوب ترتيب السور في القراءة لا داخل الصلاة ولا خارجها، بل يجوز أن يقرأ الكهف قبل البقرة، والحج قبل الكهف، وأما ما جاء عن السلف من النهي عن قراءة القرآن منكوسا فالمراد به أن يقرأ من آخر السورة إلى أولها. أهـ من فتح الباري والذي يظهر من مجموع ما سبق أن القراءة بدون ترتيب السور ليس هو التنكيس المنهي عنه وقد فعل النبي ﷺ ذلك في صلاته من الليل وقرأ سورة آل عمران قبل سورة النساء كما ورد في صحيح مسلم من حديث حذيفة رضي الله عنه. وعلى هذا يحمل كلام ابن مسعود رضي الله عنه لما سئل عمن يقرأ القرآن منكوسا؟ قال: ذلك منكوس القلب وقد كره بعض العلماء التنكيس بين السور، وذلك لمخالفة ترتيب المصحف. والله أعلم.

هل الحجر الأسود من الجنة؟

- يسأل محمد رمضان سمك من الإسكندرية:

نشرت مجلة التوحيد في عدد ربيع الأول العام ١٤٠٩هـ - عن فضيلة الشيخ/ محمد علي عبد الرحيم - رحمه الله - قوله: إن الحجر الأسود ليس من أحجار الجنة، بينما ذكر بعض الإخوة لنا أحاديث ثابتة عن رسول الله ﷺ تفيد أن الحجر الأسود من أحجار الجنة، نرجو من فضيلتكم التفضل بالتعقيب؟

الجواب: نشكر الأخ الكريم/ محمد رمضان سمك من الإسكندرية على إيراده هذا السؤال وما يتعلق به، ونفع الله به الإسلام والمسلمين؟ ونقول إن الشيخ إذا كان قال هذا الكلام عن الحجر الأسود فلغياب النص والدليل عنه، وهذا دليل واضح على ما يتمتع به بنو البشر من ورود الخطأ من كل أحد منهم كما قال النبي ﷺ: «كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون» رواه الحاكم وصححه عن أنس، والصواب كما ورد عن النبي ﷺ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بني آدم». [الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح وصححه الشيخ الألباني رحمه الله]

والنصيحة للإخوة الكرام - فالدين النصيحة - ما داموا قد عرفوا أن الخطأ وارد على كل أحد من

الناس فلا يحدث البلبلة والاختلاف والجدل، ولا تقوم الدنيا وتقعد، فإن الأمور تتدارك، والحق ضالة المؤمن حيثما وجده التزمه والله الهادي إلى سواء السبيل.

حكم شركات التأمين

- يسأل محمد مصطفى - الشرقية:

فكرت في تأمين مستقبل ولدي فذهبت إلى إحدى شركات التأمين لأدفع مبلغًا شهريًا وأحصل بعد ٢١ سنة على مبلغ كبير أستطيع تزويجه به فهل هذا المبلغ حلال أم حرام؟

الجواب: الشخص الذي يؤمِّن على حياته أو مصنعه أو على ولده لا يدري كم من الأقساط سيدفع، ولا كم من المال يستحق ومتى يستحق هذا المال؛ إلا في حالة واحدة هي حالة انتهاء مدة عقد التأمين دون تعرض للكوارث، وهذا من قبيل الغرر والجهالة الذي يفسد العقود وهو كذلك يدفع مالا مقابل مال سيأخذه دون مماثلة في قدر هذا المال أو تقابض في المجلس وهذا من الربا المحرم شرعًا، فضلا عن أن شركات التأمين تستثمر حصيلة أموالها في البنوك الربوية لتحصل منها على أعلى فائدة، وهذا هو الربا المحرم وهذا الذي عليه أكثر علماء الأمة وهو الذي انتهت إليه المجامع الفقهية التي بحثت هذا الموضوع، فهذا النوع من التأمين يسمى التأمين التجاري وهو حرام لأنه يشتمل على ما تفسد معه العقود من الغرر والربا وغيره.

ضوابط المشاركة في المشروعات

- يسأل حمدي محمد - الإسكندرية:

نرجو الإفادة عن شركة تسمى الفرسان للإنتاج الداجني تقوم بعمل مشاريع تربية طيور وهي عبارة عن دورات تربية وعلى العميل الذي يريد الاشتراك دفع تكاليف المشروع ومحدد فيه نسبة ربح كل دورة تربية فإجمال تكلفة الدورة ٦٠٠٠ جنيه وربحها ٧٥٠ جنيه، لكنهم يقولون إن هذه الدراسة خاضعة للجدوى الاقتصادية بزيادة أو نقصان ١٠٪ عن قيمة الربح المحددة سلفًا فهل التعاقد مع هذه الشركة بحكم خبرتها في مجال تربية الدواجن لإدارة المشروع جائز شرعًا أم لا؟!! أرجو الإفادة...

الجواب: الأرباح المبينة في نموذج دراسة الجدوى هي أرباح تقديرية قائمة على أساس سير المشروع كما هو مخطط له، وقد تزيد وتنقص بسبب عوارض قدرية، وقد يحدث جائحة أو مرض يصيب الطيور لا يُعرف سببه ولا علاجه، وعند ذلك سيقل الربح وقد تكون خسارة، فإذا كان التعامل خاضعًا للمكسب والخسارة فلا حرج في هذا التعامل حينئذ، وأما إذا كان الاتفاق على الربح دون الخسارة فتصبح المعاملة ربوية، وهذه الأخيرة هي الواضحة فيما جاء في السؤال. فليعدل الاتفاق أو يصرف النظر عن هذا التعامل.

مواريث

- يسأل مؤمن عبد الله - سقارة جيزة:

توفيت امرأة عن زوج وأبناء أخت وأخوات لأم، فما نصيب كل هؤلاء من تركتها؟

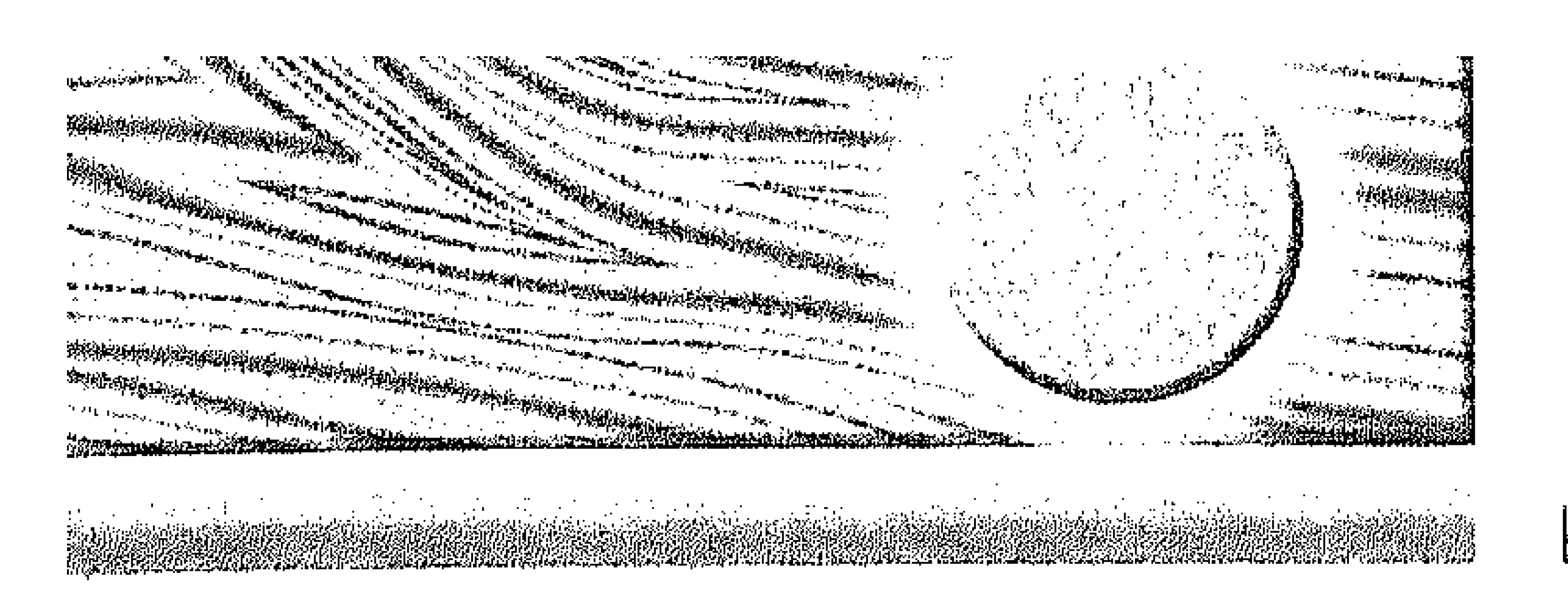
الجواب:

للزوج النصف فرضًا

للأخوات لأم الثلث فرضًا

وأبناء الأخت من ذوي الأرحام لا يرثون في وجود أصحاب الفروض، فليس لهم شيء.

والباقي يرد على الأخوات لأم فقط على الراجح من أقوال العلم والمعمول به في الفتوى والقضاء لأن الرد على أحد الزوجين متأخر عن ذوي الأرحام.

فتاوى اللجنة الدائمة

من تحرك من عرفة قبل غروب الشمس فعليه دم مع التوبة إلى الله

س: وقفت بعرفة حتى قبيل المغرب ورأيت الحجاج يتحركون إلى مزدلفة فسرت معهم، وقد نبهني أحد الحجاج بعدم المسير الآن ولكنني لم أسمع كلامه، فهل حجي صحيح؟ أو ماذا عليّ؟ أفيدوني جزاكم الله خيراً.

الجواب: إذا كان الواقع هو ما ذكرت في السؤال ولم ترجع إلى عرفة وتقف بها حتى غروب الشمس فعليك دم يُذبح في منى أو مكة للفقراء، مع التوبة إلى الله من ذلك. وفق الله الجميع.

من قطع طوافه لحديث أو لحاجة هل يستأنفه أم يبني على ما مضى

س: الأخ الذي رمز لاسمه: ق. ن. ع. من القاهرة يقول في سؤال له: رجل شرع في الطواف فخرج منه ريح، هل يلزمه قطع طوافه أم يستمر؟

الجواب: إذا أحدث الإنسان في الطواف بريح أو بول أو مني، أو مس فرج أو ما أشبه ذلك انقطع طوافه كالصلاة، يذهب فيتطهر ثم يستأنف الطواف، هذا هو الصحيح، والمسألة فيها خلاف، لكن هذا هو الصواب في الطواف والصلاة جميعًا؛ لقول النبي ﷺ: «إذا فسا أحدكم في الصلاة فلينصرف، وليتوضأ، وليعد الصلاة». رواه أبو داود وصححه ابن خزيمة.

والطواف من جنس الصلاة في الجملة، لكن لو قطعه لحاجة مثلاً كمن طاف ثلاثة أشواط ثم أقيمت الصلاة فإنه يصلي ثم يرجع فيبدأ من مكانه ولا يلزمه الرجوع إلى الحجر الأسود، بل يبدأ من مكانه ويكمل، خلافًا لما قاله بعض أهل العلم: إنه يبدأ من الحجر الأسود. والصواب: لا يلزمه ذلك، كما قال جماعة من أهل العلم، وكذا لو حضر جنازة وصلى عليها، أو أوقفه أحد يكلمه، أو زحام، أو ما أشبه ذلك، فإنه يكمل طوافه، ولا حرج عليه في ذلك، والله ولي التوفيق.

الوكالة في الرمي لا تجوز إلا من عذر شرعي

س: ما حكم من وكل في رمي الجمار وهو قادر وسافر بعد يوم العيد ولم يمكث في منى يومين؟

الجواب: الوكالة لا تجوز إلا من علة شرعية مثل كبر السن والمرض ومثل الحبلى التي يخشى عليها، وما أشبه ذلك، أما التوكيل من غير عذر شرعي فهذا لا يجوز، والرمي باق عليه حتى ولو كان حجه نافلة على الصحيح؛ لأنه لما دخل في الحج والعمرة وجب عليه إكمالهما وإن كان نافلة؛ لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، فهذا يعم حج النافلة وحج الفرض كما يعم عمرة النافلة، لكن إذا كان معذورًا لمرض أو كبر سن فلا بأس، والنائب يرمي عنه وعن موكله في موقف واحد الجمرات كلها هذا هو الصواب.

وكذلك إن سافر قبل طواف الوداع فهذا أيضًا منكر ثان لا يجوز؛ لأن طواف الوداع بعد انتهاء الرمي وبعد فراغ وكيله من الرمي إذا كان عاجزًا، وكونه يسافر قبل طواف الوداع وقبل مضي أيام منى هذا فيه شيء من التلاعب فلا يجوز هذا الأمر، بل عليه دمان: دم عن ترك الرمي يذبح في مكة ودم عن ترك طواف الوداع يذبح في مكة أيضًا، ولو

طاف في نفس يوم العيد لا يجزئه ولا يسمى وداعًا؛ لأن طواف الوداع يكون بعد رمي الجمار فلا يطاف للوداع قبل الرمي؛ لقول النبي ﷺ: «لا ينفرنَّ أحدكم حتى يكون آخر عهده بالبيت». ولما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت إلا أنه خفف عن المرأة الحائض». متفق على صحته.

وعلى المذكور دم ثالث عن ترك المبيت بمنى ليلة أحد عشر وليلة اثني عشر مع التوبة إلى الله من فعله المذكور.

مكان الحلق والتقصير

س: إذا رمينا جمرة العقبة فهل لابد من الحلق في منى أو نحلق بعد النزول إلى مكة؟ وخاصة أنه ربما لا توجد إمكانيات الحلاقة في منى؟ أرجو من سماحتكم إيضاح ذلك؟

الجواب: الحلق أو التقصير يجوز فعله في منى وفي مكة وغيرهما.

حكم التحلل بعد رمي جمرة العقبة

س: امرأة جاهلة رمت جمرة العقبة يوم النحر وأحلت إحرامها ولبست البرقع، ولم تقصر، ولم تطف طواف الإفاضة ماذا يجب عليها؟

الجواب: ليس عليها شيء؛ لأن التحلل الأول يحصل برمي جمرة العقبة عند جمع من أهل العلم، وهو قول قوي وإنما الأحوط هو تأخير التحلل الأول حتى يحلق المحرم أو يقصر أو يطوف طواف الإفاضة ويسعى إن كان عليه سعي بعد رمي جمرة العقبة، ومتى فعل الثلاثة المذكورة حلّ التحلل كله. والله ولي التوفيق.

حكم من فعل محظورات الإحرام من جنس واحد

س: هل تدخل بعض المحظورات في بعضها الآخر وتكون لها كفارة واحدة؟

الجواب: نعم إذا كانت المحظورات من جنس واحد، كما لو قلم أظفاره ونتف إبطه أو لبس المخيط عامدًا، فعليه التوبة وتكفي فدية واحدة وهي: إطعام ستة مساكين أو صوم ثلاثة أيام أو ذبح شاة.

س: حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: «حُملتُ إلى رسول الله ﷺ والقملُ يتناثر على وجهي. فقال: ما كنت أرى الوجع بلغ بك ما أرى، أتجد شاة؟ قلت: لا. قال: فصم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع». متفق عليه. هل هذا الحديث تفسير للآية: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾ الآية؟

الجواب: هذا الحديث يفسر الآية المذكورة ويدل بجميع رواياته على التخيير بين الأصناف الثلاثة كما هو ظاهر الآية الكريمة، وهي: صيام ثلاثة أيام، أو إطعام ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من قوت البلد من تمر أو غيره، أو ذبح شاة تجزئ في الأضحية.

إحرام الحائض والنفساء

س: امرأة دخلت مكة محرمة ثم جاءها الحيض بعد الطواف فماذا يجب أن تفعل؟!

الجواب: هذه المرأة عليها أن تسعى وتقصر من رأسها وتحل بنية العمرة، فإذا كان يوم التروية وهو الثامن من ذي الحجة أحرمت بالحج عند خروجها إلى منى، أما إن كانت أحرمت بالحج حين قدومها وترغب أن تبقى على إحرامها بالحج فإنها بالخيار: إن شاءت سعت وهي في حال الحيض لأن السعي لا يشترط له الطهارة، وإن شاءت أخرت السعي إلى أن

تنزل من عرفة، ثم تسعى مع طواف الحج؛ لأنها بذلك تكون قد أفردت بالحج، وذلك جائز ولكن جعل إحرامها عمرة أفضل كما أمر بذلك النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم لما دخلوا مكة في حجة الوداع، وقد أحرم بعضهم بالحج وبعضهم بالعمرة وبعضهم قد أحرم بهما جميعًا، فأمرهم عليه الصلاة والسلام أن يحلوا جميعًا ويجعلوا إحرامهم عمرة إلا من كان معه الهدي، وهذا معروف في الأحاديث الكثيرة الصحيحة، والمشروع للمؤمن أن يتحرى في أقواله وأعماله في الحج وغيره ما يوافق سنة رسول الله ﷺ ، والله ولي التوفيق.

الاشتراط في العمرة

س: إذا خشيت المرأة أن تحيض إذا أتت الحرم هل تشترط في العمرة؟

الجواب: لها ذلك؛ لأن الحيض قد يحبسها عن إتمام عمرتها ولا تستطيع معه التخلف عن رفقتها، أما الحج فوقته واسع فالحيض لا يكون فيه إحصار.

نية الصبي

س: هل يشترط نية الصبي؟

الجواب: إذا كان دون السابعة فليس له نية، بل ينوي عنه وليه الذي يتولى الحج به من أب أو أم أو غيرهما؛ لما ثبت في الحديث الصحيح أن امرأة رفعت للنبي ﷺ في حجة الوداع صبيًا فقالت: يا رسول الله، ألهذا حج؟ قال: «نعم، ولك أجر». ولما روي عن جابر رضي الله عنه أنه قال: «لبينا عن الصبيان ورمينا عنهم».

أما إذا كان الصبي قد بلغ السابعة أو أكثر فإنه يعلمه وليه النية وغيرها.

حكم من نسي الإحرام عمن حج عنه

س: ما حكم من حج عن والدته وعند الميقات لبى بالحج ولم يلب عن والدته؟

الجواب: ما كان قصده الحج عن والدته ولكنه نسي فإن الحج يكون لوالدته والنية أقوى؛ لقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «إنما الأعمال بالنيات». فإذا كان القصد من مجيئه هو الحج عن أمه أو عن أبيه ثم نسي عند الإحرام فإن الحج يكون للذي نواه وقصده من أب أو أم أو غيرهما.

حكم من لم يستطع الهدي

س: ما حكم من أحرم بالحج والعمرة وبعد وصوله إلى مكة ضاعت نفقته ولم يستطع أن يفدي وغير نيته إلى مفرد هل يصح ذلك. وإذا كانت الحجة لغيره ومشترط عليه التمتع فماذا يفعل؟

الجواب: ليس له ذلك ولو ضاعت نفقته، وإذا عجز يصوم عشرة أيام، والحمد لله، ثلاثة أيام في الحج، وسبعة إذا رجع إلى أهله، ويبقى على تمتعه، وعليه أن ينفذ الشرط بأن يحرم بالعمرة ويطوف ويسعى ويقصر ويحل ثم يُلبي بالحج ويفدي، فإن عجز صام عشرة أيام في الحج قبل عرفة وسبعة إذا رجع إلى أهله؛ لأن الأفضل أن يكون يوم عرفة مفطرًا اقتداءً بالنبي ﷺ ، فإنه وقف بها مفطرًا.

المشروع لمن أحرم مفردًا

س: جئت مع جماعة للحج وأحرمت مفردًا وجماعتي يريدون السفر إلى المدينة، فهل لي أن أذهب إلى المدينة وأرجع لمكة لأداء العمرة بعد أيام قليلة؟

الجواب: إذا حج الإنسان مع جماعة وقد أحرم بالحج مفردًا ثم سافر معهم للزيارة، فإن المشروع له أن يجعل إحرامه عمرة، ويطوف لها ويسعى ويقصر ثم يحل، ثم يحرم بالحج في اليوم الثامن ويكون بذلك متمتعًا، وعليه هدي التمتع كما أمر النبي ﷺ بذلك أصحابه في حجة الوداع الذين ليس معهم هدي.

الأفضل لمن لم يسق الهدي أن يفسخ حجه إلى العمرة

س: ما حكم من نوى الحج بالإفراد ثم بعد وصوله إلى مكة قلبه تمتعًا فأتى بالعمرة ثم تحلل منها فماذا عليه؟ ومتى يحرم بالحج؟ ومن أين؟

الجواب: هذا هو الأفضل إذا قدم المحرم بالحج أو الحج والعمرة جميعًا فإن الأفضل أن يجعلها عمرة، وهو الذي أمر النبي ﷺ أصحابه لما قدموا، بعضهم قارن وبعضهم مفرد بالحج، وليس معهم هدي، أمرهم أن يجعلوها عمرة، فطافوا وسعوا وقصروا وحلوا إلا من كان معه الهدي فإنه يبقى على إحرامه حتى يحل منهما إن كان قارنًا أو من الحج إن كان محرمًا بالحج يوم العيد.

والمقصود أن من جاء مكة محرمًا بالحج وحده أو بالحج والعمرة جميعًا في أشهر الحج وليس معه هدي، فإن السنة أن يفسخ إحرامه إلى عمرة فيطوف ويسعى ويقصر ويتحلل، ثم يحرم بالحج في اليوم الثامن من ذي الحجة في مكانه الذي هو مقيم فيه داخل الحرم أو خارجه ويكون متمتعًا وعليه دم التمتع.

القِران لا يفسخ إلى الإفراد

س: ما حكم من نوى الحج متمتعًا وبعد الميقات غير رأيه ولبى بالحج مفردًا هل عليه هدي؟

الجواب: هذا فيه تفصيل، فإن كان نوى قبل وصوله إلى الميقات أنه يتمتع، وبعد وصوله إلى الميقات غيَّر نيته وأحرم بالحج وحده فهذا لا حرج عليه ولا فدية، أما إن كان لبى بالعمرة والحج جميعًا من الميقات أو قبل الميقات ثم أراد أن يجعله حجًا فليس له ذلك ولكن لا مانع أن يجعله عمرة أما أن يجعله حجًا فلا، فالقران لا يفسخ إلى حج ولكن يفسخ إلى عمرة إذا لم يكن معه هدي؛ لأن ذلك هو الذي أمر به النبي ﷺ أصحابه عليه الصلاة والسلام الذين لم يسوقوا الهدي في حجة الوداع، فإذا أحرم بهما جميعًا من الميقات ثم أراد أن يجعله حجًا مفردًا فليس له ذلك، ولكن له أن يجعل ذلك عمرة مفردة وهو الأفضل له كما تقدم فيطوف ويسعى ويقصر ويحل، ثم يلبي بالحج بعد ذلك في اليوم الثامن من ذي الحجة فيكون متمتعًا.

من محظورات الإحرام

س: ما حكم تغطية الرأس في الإحرام مثل أن يحمل متاعه على رأسه؟

الجواب: حمل بعض المتاع على الرأس لا يعد من التغطية الممنوعة إذا لم يفعل ذلك حيلة، وإنما التغطية المحرمة هي: ما يغطي بها الرأس عادة كالعمامة والقلنسوة، ونحو ذلك مما يغطى به الرأس، وكالرداء والبشت ونحو ذلك، أما حمل المتاع فليس من الغطاء المحرم كحمل الطعام ونحوه إذا لم يفعل ذلك المحرم حيلة؛ لأن الله سبحانه قد حرم على عباده التحيل لفعل ما حرم، والله ولي التوفيق.

حول ظاهرة انتشار

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

قرأت منذ سنوات إعلانًا في إحدى الجرائد صادرًا عن أحد مراكز جراحات التجميل يعدد مواهبه وإمكانياته على النحو التالي:

١- تكبير بعض أجزاء الجسم (أو تصغيرها).
٢- تفتيح لون البشرة.
٣- شد الوجه.
٤- تنسيق القوام.
٥- الوشم.

وغير ذلك كثير كثير. راجعتها جميعًا فلم أجد منها شيئًا مباحًا، ولكنها تغيير لخلق الله دون ضرورة تبيح المحظور، ثم توالت الإعلانات وكثرت مراكز جراحات التجميل ولاقت رواجًا بين الفاسقات اللاهثات وراء سراب الشهرة والجمال، وفيما يلي حكم الشرع في عمليات جراحات التجميل.

أولاً: يقول ربنا تبارك وتعالى في معرض الحديث عن الشيطان الرجيم: ﴿ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (١١٨) وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ [النساء: ١١٨، ١١٩].

ثانيًا: روى البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال: «لعن الله الواصلة والمستوصلة». قال العلماء عليهم رحمة الله: الواصلة هي التي تصل شعرها أو شعر غيرها بشعر آدمية أو بشعر صناعي، والمستوصلة هي التي تطلب من شخص آخر أن يفعل ذلك بشعرها، واللعن هو الطرد من رحمة الله.

ثالثًا: روى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لعن الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة.

قال العلماء عليهم رحمة الله: الواشمة هي التي تصنع الوشم لنفسها أو لغيرها، والمستوشمة هي التي تطلب من غيرها أن يصنع الوشم لها.

رابعًا: روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ «لعن الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات لخلق الله».

قال العلماء عليهم رحمة الله: النامصة هي التي تأخذ من شعر حاجبها أو حاجب غيرها وترققه ليصير حسنًا، والمتنمصة هي التي تطلب من غيرها أن تفعل ذلك بحاجبها.

والمتفلجة هي التي تبرد من أسنانها ليتباعد بعضها عن بعض قليلاً وتحسنها، وهو الوشر.

خامسًا: روى الإمام مسلم عن جابر رضي الله عنه أن أبا قحافة والد أبي بكر الصديق رضي الله عنه جاء يوم فتح مكة ورأسه ولحيته كالثغامة بياضًا، فقال رسول الله ﷺ: «غيروا هذا واجتنبوا السواد». والثغام نبات أبيض.

قال العلماء عليهم رحمة الله: يجوز خضاب شعر اللحية والرأس الأبيض بالحناء الصفراء أو الحمراء.

مما سبق نخلص إلى ما يلي:

١- تنسيق قوام الجسم بتكبير بعض أجزائه (أو تصغيرها) حرام لأنه تغيير لخلق الله.

٢- تفتيح لون البشرة حرام لأنه تغيير لخلق الله، والله تعالى يقول: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ﴾ [الروم: ٢٢].

٣- شد الوجه وصبغ الشعر بالسواد، حرام لأنه تغيير لخلق الله، ولأن فيه تدليسًا حيث يوحي للآخرين بأن هذا الشخص أو تلك المرأة أصغر سنًا من الحقيقة.

٤- الوشم والنمص ولبس الباروكة وتصغير الأسنان حرام لأنه يستوجب اللعن وهو الطرد من رحمة الله.

٥- عمليات شفط الدهون وشد الترهلات وتكبير بعض أجزاء الجسم أو تصغيرها تستخدم فيها طرق تؤدي أحيانًا إلى الشلل أو اختلال نسبة الهرمونات بالجسم، وتحتاج أحيانًا إلى تعريض الجسم لبعض الجلسات الكهربائية أو غير ذلك، والغرض الأساسي منها هو الربح المادي للأطباء، وتؤدي في كثير من الأحيان إلى مضاعفات خطيرة تتسبب في اعتلال الصحة وربما الموت.

٦- المرأة التي تُجرى لها عمليات التجميل

جراحات التجميل

إعداد
د. حسن حجاب

تتكشف للأطباء الذكور دون ضرورة قهرية إلا ما يزينه لها الشيطان من السعي وراء سراب الجمال والشهرة.

٧- القرار في البيت واجب على نساء المسلمين جميعًا، والمرأة المسلمة إذا اضطرت للخروج تخرج منتقبة حتى لا يرى الرجال الأجانب وجهها، ويتأكد ذلك في حق الشابة الجميلة جمالاً طبيعيًا حتى تعين إخوانها المسلمين على غض البصر، وحتى تتشبه بنساء الجنة من الحور العين اللاتي قال عنهن ربنا جل جلاله: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ [الرحمن: ٧٢]، وهذا معناه أنها تحفظ نفسها ولا تخرج من بيتها حتى لا يراها إلا زوجها من أهل الجنة، وقال تعالى أيضًا: ﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ ﴾ [الرحمن: ٥٦]، وهذا معناه أن المرأة من الحور العين لا تنظر إلا إلى زوجها، وهذا لا يتأتى إلا بالقرار في البيت.

وعلى ذلك فإن أي امرأة مسلمة عفيفة تطمع في دخول الجنة عليها أن تتشبه بنساء الجنة من الحور العين بألا تنظر إلى رجل غير زوجها أي أنها تغض بصرها عن سائر الرجال الأجانب، وهي في نفس الوقت لا تعطي فرصة لأي رجل غير زوجها للنظر إليها (وذلك بالقرار في البيت).

٨- استخدام مستحضرات التجميل المعاصرة لدهان الشفتين والعينين والخدين والأظفار ربما يكون التورع عنه أحوط، وإذا اضطرت المرأة لذلك لتعف زوجها عن النظر المحرم فليكن ذلك مقصورًا في البيت في غير حضرة الرجال الأجانب، بل ويستحب في غير حضرة المحارم؛ لأن ذلك قد يحرك الشهوة عندهم، وفي غير حضرة الأطفال المميزين لأنهم قد يصفون حال أمهم في البيت لغير المحارم، ثم إن هؤلاء الأطفال قد تختل عندهم القيم عندما يرون أمهم تتشبه بالفاسقات اللاتي يخرجن إلى الشوارع متزينات.

وبإحصائية بسيطة إذا اعتبرنا وجود حوالي ٣٢ مليون أنثى بمصر نصفهن أي حوالي ١٦ مليون امرأة ما بين العشرين عامًا والخمسين عامًا، وإذا اعتبرنا أن نصف هؤلاء (يعني حوالي ٨ مليون امرأة) يستعملن مستحضرات التجميل بمعدل لا يقل عن عشرة جنيهات شهريًا لكل امرأة فإن الحصيلة حوالي ٨٠ مليون جنيه شهريًا، أي حوالي مليار جنيه في العام الواحد تنفق لتزيين النساء المسلمات للناظرين من الرجال الأجانب وللإعانة على إثارة الغرائز والشهوات وللحيلولة دون غض البصر.

فإذا تورعت النساء المسلمات عن استعمال مستحضرات التجميل فإن الحصيلة (مليار جنيه سنويًا) يمكن توظيفها لإطعام الجائعين من المسلمين والمسلمات ولعلاج المرضى منهم، بل لبناء مساكن للأحياء الذين يسكنون القبور مع الموتى!

٩- عمليات التجميل رغم حرمتها في الغالب فإنها قد تجر على صاحبتها وأسرتها مصائب تتلخص فيما يلي:

أولاً: دفع الكثيرين من الرجال إلى عدم غض البصر أمام إغراء الجمال المصطنع. بل ودفع بعض الفساق إلى مغازلة تلك المرأة الجميلة، وفي ذلك مفاسد كثيرة قد تؤدي إلى انحراف تلك المرأة الجميلة وسقوطها في أوحال الرذيلة أمام تكرار تلك المغازلات، بل قد تحدث تلك المغازلات أمام الزوج فيجد نفسه مضطرًا إلى التشاجر مع هؤلاء الفساق، وربما يضطر في النهاية إلى طلاق تلك الزوجة التي تجر عليه المشاكل، وفي بعض الأحيان يغري بعض الفساق تلك المرأة الجميلة لطلب الخلع من زوجها ليتزوجها أحدهم.

ثانيًا: المرأة الجميلة قد تعرض نفسها في أوساط النساء إلى الحسد الذي لا تحمد عقباه، وكما يقول النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه: «العين حق». ويقول ﷺ : «العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر». رواه أبو داود وغيره وحسنه الألباني.

كما أن أي امرأة فاسقة قد تصفها لزوجها أو لغيره، وقد نهى رسول الله ﷺ عن أن تصف المرأة امرأة أخرى لزوجها كأنه ينظر إليها. [رواه البخاري ومسلم].

أيضًا فإن المرأة سقيمة القلب قد تكون شهوتها موجهة نحو بنات جنسها، ومثل هذه لا يحل للمرأة المسلمة العفيفة مجالستها ولا الخلوة بها.

١٠- هل هناك عمليات تجميل مباحة شرعًا؟

في بعض الأحيان تكون عملية التجميل مباحة أو مستحبة أو واجبة على النحو التالي:

أولاً: وجود عيب خلقي بجسم الإنسان يمنع أحد أعضاء الجسم من أداء وظيفته أو يقلل كفاءته، مثال

ذلك:

أ- شخص عينه مغلقة أو عليها سحابة تمنع الرؤية، هذا يحل له إجراء عملية لتمكين عينه من الرؤية.

ب- شخص فمه أو شفته مشقوقة تعوق الكلام والطعام والشراب، لا حرج هنا في إجراء عملية جراحية لتصحيح هذا العيب.

جـ- شخص أذنه مغلقة أو بها ثقب في الطبلة بحيث لا يمكنه السماع أو عنده ضعف في السمع، فإذا كانت العملية الجراحية تعيد إليه السمع أو تقويه فلا مانع من إجراء تلك العملية.

د- شخص يده ملتوية أو أصابعه معوجة أو هناك تشوهات تعوق أداء تلك اليد لوظيفتها؛ هنا لا جناح من إجراء عملية جراحية لتصحيح الحالة غير الطبيعية.

هـ- شخص له ساق أطول من الأخرى بدرجة تؤثر على مشيته، لا مانع من إجراء عملية جراحية لزيادة طول الساق القصيرة لتصبح مثل الساق الأخرى.

و- شخص إحد أسنانه أطول من بقية الأسنان بدرجة ملحوظة تؤذيه، هنا يباح تقصير السن الطويل لإزالة الضرر. وهكذا.

ثانيًا: حدوث تشوهات بجسم الإنسان نتيجة حادث سيارة أو حريق أو حالة مرضية. هنا يرخص بالتدخل الجراحي لإعادة الوضع إلى ما كان عليه؛ لأن القاعدة الشرعية هي: «لا ضرر ولا ضرار». ويستفتى في ذلك علماء الدين وعلماء الطب على النحو التالي:

علماء الدين: هل هذه العملية مباحة شرعًا؟ ولا يكتفي بسؤال عالم واحد، بل تسأل لجنة الفتوى بالأزهر، أو عدد من العلماء المشهود لهم بالعلم والورع.

علماء الطب: هل يغلب على الظن نجاح هذه العملية؟ وهل لها أضرار؟

ويشترط سؤال أكثر من طبيب ماهر في مهنته مشهود له بخشية الله بحيث لا يكون كل همه جمع المال والربح المادي.

١١- أقول للفتيات: الزواج ليس هو نهاية المطاف ولكن قد يكون بداية لسلسلة من البلايا والمتاعب أشهرها حياة زوجية تعيسة تنتهي بالطلاق غالبًا، وربما حياة زوجية هادئة ولكن بدون إنجاب، أو إنجاب أطفال معوقين.

١٢- الله تعالى أنعم على كل مخلوق بنعم كثيرة، فمن ابتغى ما عند الله بمعصية الله فعليه دفع ثمن ذلك من النعم الحلال- أي بفقد الصحة أو المال أو العيال- أو ربما بسوء الخاتمة والعياذ بالله.

١٣- الوظيفة الأساسية للمرأة المسلمة هي عبادة الله وتربية الأجيال، ولا يصح ولا يليق بالمرأة المسلمة أن ترضى لنفسها أن تصبح وسيلة للترفيه عن راغبي المتعة الحرام بالنظر إلى محاسنها والاستمتاع بالحديث معها والأنس بمجالستها وشم رائحة عطرها، وغير ذلك مما يعف اللسان عن ذكره، وفي التلميح ما يغني عن التصريح.

١٤- مستحضرات التجميل التي كانت معروفة على عهد رسول الله ﷺ كانت قاصرة على العطر والكحل والحناء للرجال والنساء على السواء، وكانت المرأة لا تخرج من بيتها إلا لضرورة، والضرورة بقدرها، وإذا خرجت فلا تخرج متعطرة ولا تكشف وجهها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تهنئة واجبة

يسعد أسرة تحرير مجلة التوحيد أن تتقدم بخالص التهاني للأستاذ/ محمد العربي السيد غالي بمناسبة ترقية ابنه المستشار/ تامر محمد العربي مديرًا لنيابات مصر الجديدة ندعو الله له بمزيد من الرقى والتقدم والتوفيق.

رئيس التحرير

إخلاص العبادة لله في الحج

إعداد/ سعيد عامر

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه... وبعد.

فيقول الله عز وجل: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ... ﴾ [البقرة:١٩٦].

أوجب الله الحج على القادر المستطيع، فرضه في العمر مرة، وندب إليه بقدر ما يطيق العبد، حتى سُنَّت المتابعة بين الحج والحج.

والحج فوق كونه شعيرة إسلامية، وركنًا ركينًا من أركان الدين، فإنه دعوة خالصة لموسم سنوي ومؤتمر عالمي، يحضر فيه المسلمون من كل فج عميق... يبتغي فيه الناس فوق المغفرة الفضل من الله بكل صنوف الفضل، فمن منافع جماعية إلى فوائد فردية، مؤتمر يجمع بين أهل الصلاة والتقى في موطن تنزل فيه الرحمة، والناس في خشوع وخضوع ورجاء ودعاء وتلبية، التوحيد منطقهم، والتعبد والذكر شغلهم، والله مولاهم ومقصدهم، ورضوانه سبحانه بغيتهم.

رحلة إيمانية نورانية مباركة، دعاهم ربهم فأجابوه ولبَّوْا نداءه. أسلموا قلوبهم لله، وانقادوا لأمره، وانصاعوا لحكمه، واعتصموا بكتابه، واستنوا بسنة نبيهم ﷺ، وأخلصوا العمل لله وحده، مع التوحيد الخالص، المطهر من شوائب الشرك وأدران الوثنية، واستمسكوا بالعروة الوثقى.

إذا وصل الحاج أو المعتمر إلى الميقات أحرم بالحج أو بالعمرة، والميقات هو المكان الذي حدده رسول الله ﷺ قبل الدخول إلى مكة، ففي الحديث المتفق عليه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ وقت لأهل المدينة ذا الحليفة - ميقات أهل المدينة، ولأهل الشام الجحفة وتحاذيها رابغ وهي ميقات أهل الشام ومصر ومن مر بها، ورابغ تحاذي الجحفة وهي تطل على البحر. ولأهل نجد قرن المنازل - ويعرف الآن بالسيل الكبير، وهو ميقات لأهل المشرق - نجد والطائف وبلاد العراق وإيران ومن مر به ولأهل اليمن يلملم، ميقات أهل اليمن ويعرف الآن بالسعدية، يمر منه حجاج اليمن وإندونيسيا وماليزيا والصين والهند وحجاج جنوب آسيا، قال ﷺ: «هن لهن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن لمن كان يريد الحج والعمرة فمن كان دونهن فمهله من حيث أنشأ حتى أهل مكة من مكة».

وزاد جمهور المحدثين - ذات عرق - وهو ميقات لأهل العراق، وهو منصوص عليه بأحاديث النبي ﷺ على الراجح، ويقع شرقي مكة، وهو مهجور الآن. وهذه المواقيت الخمسة لمن أراد الحج والعمرة لأهلها ولكل من مر عليها من غير أهلها إذا مر بها أو حاذاها، ومن أحرم بعد تجاوز الميقات، فعليه إما أن يعود إلى الميقات ليحرم منه، أو عليه فدية ذبيحة لا يأكل منها.

وعلى من أحرم أن يرفع صوته بالتلبية. روى مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في سياق حجته ﷺ «... فصلى رسول الله ﷺ في المسجد ثم ركب القصواء، حتى إذا استوت به ناقته على البيداء... فأهل النبي ﷺ بالتوحيد «لبيك اللهم لبيك....».

وكان ﷺ يرفع صوته بالتلبية، وأمر أصحابه أن يرفعوا أصواتهم بها - وليس من هدي النبي ﷺ التلفظ بقول «نويت....» لا في صلاة ولا في حج ولا غيره - النية محلها القلب، وعليه أن يقول: لبيك اللهم حجًا - أو لبيك اللهم عمرة، ثم يشرع في التلبية.

وقد جاءت عن رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة أخبرنا فيها عن رؤيته ﷺ أو رؤياه لكثير من الأنبياء والمرسلين وهم قاصدون بيت الله الحرام حاجين معتمرين، يرفعون أصواتهم بالتلبية لله عز وجل، ومن هذه الأحاديث.

ما رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ مر بوادي الأزرق(١) قال: «أي واد هذا؟» فقالوا: هذا وادي الأزرق، قال: «كأني أنظر إلى موسى عليه السلام هابطًا من الثنية وله جؤار إلى الله بالتلبية» ثم أتى ثنية هرشى(٢)، فقال: «أي ثنية هذه؟» قالوا: ثنية هرشى. قال: «كأني أنظر إلى يونس بن متَّى عليه السلام على ناقة حمراء جعدة - مكتنزة اللحم - عليه

جبة من صوف، خطام ناقته خلبة وزمام ناقته من ليف - وهو يلبي».

وفي الحديث المتفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أراني ليلة عند الكعبة فرأيت رجلا آدم - أسمر اللون - كأحسن ما أنت راء من أُدم الرجال، له لمة - الشعر إذا جاوز المنكبين - كأحسن ما أنت راء من اللِّمم قد رجّلها - سرحها - فهي تقطر ماء، متكئًا على رجلين يطوف بالبيت، فسألت من هذا؟ فقيل: هذا المسيح ابن مريم) والتلبية نداء جديد، لأن خاتم النبيين محمدًا ﷺ، ندب إليه، وقاد قوافل ووضع مناسكه، وإن وفود الحجيج وهي تنطلق صوب البيت العتيق ملبية هذا النداء، ومخلفة وراءها مشاغل الدنيا، وهاتفة بأصوات خاشعة «لبيك اللهم لبيك...» إن هذه الوفود تؤكد ما يجب على الناس جميعًا لله سبحانه من إخلاص له، وطاعة مطلقة، وانقياد تام، وذكر وشكر وتوحيد وتمجيد.

فنداء الحجيج يصدقه كل شيء في البر والبحر والجو، فالملبي عندما يرفع النداء يتجاوب مع الملكوت الساجد طوعًا وكرهًا، أو يتجاوب معه الملكوت.

روى الترمذي والبيهقي وابن ماجه «ما من ملب يلبي إلا لبى ما عن يمينه وشماله من حجر أو شجر أو مدر حتى تنقطع الأرض من ها هنا، وها هنا عن يمينه وشماله».

فالجبال كانت تردد مع داود عليه السلام، وتصغى إليها الطير الغاديات والرائحات.

قال تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (١٨) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾ [ص:١٨-١٩].

إن هذه التلبية الآن ينفرد بها أتباع محمد ﷺ حملة راية التوحيد، أما غيرهم فهم بين معطل ومشرك وجاحد ومنحرف، وقد كان أهل الجاهلية الأولى يشركون في تلبيتهم كما روى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان المشركون يقولون: لبيك لا شريك لك، قال: فيقول رسول الله ﷺ: «ويلكم قدٍ قدٍ» (كفاكم هذا الكلام فاقتصروا عليه ولا تزيدوا) (والمعنى: فيقولون: إلا شريكا هو لك تملكهُ وما مَلك يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت، ومن ثم كانت التلبية الإسلامية هي شعائر حج التوحيد، الذي هو روح الحج، ولذلك أمرنا الله بإتمام الحج والعمرة في إخلاص كامل له سبحانه، فتكون الحجة والعمرة لله، لا رياء فيها ولا سمعة.

وقد علق العلامة ابن القيم على هذه التلبية فقال: قد اشتملت كلمات التلبية على قواعد عظيمة وفوائد جليلة.

إحداها: أن قولك: «لبيك» يتضمن إجابة داع دعاك ومنادٍ ناداك.

الثانية: أنها تتضمن المحبة. ولا يقال: لبيك إلا لمن تحبه وتعظمه.

الثالثة: أنها تتضمن التزام دوام العبودية.

الرابعة: أنها تتضمن الخضوع والذل.

الخامسة: أنها تتضمن الإخلاص، ولهذا قيل: إنها من اللب، وهو الخالص.

السادسة: أنها تتضمن الإقرار بسمع الرب تعالى.

السابعة: أنها تتضمن التقرب من الله، ولهذا قيل: إنها من الإلباب، وهو التقرب.

الثامنة: أنها جعلت في الإحرام شعارًا للانتقال من حال إلى حال، ومن منسك إلى منسك.

التاسعة: أنها شعار التوحيد ملة إبراهيم، الذي هو روح الحج ومقصده، بل روح العبادات كلها ومقصودها.

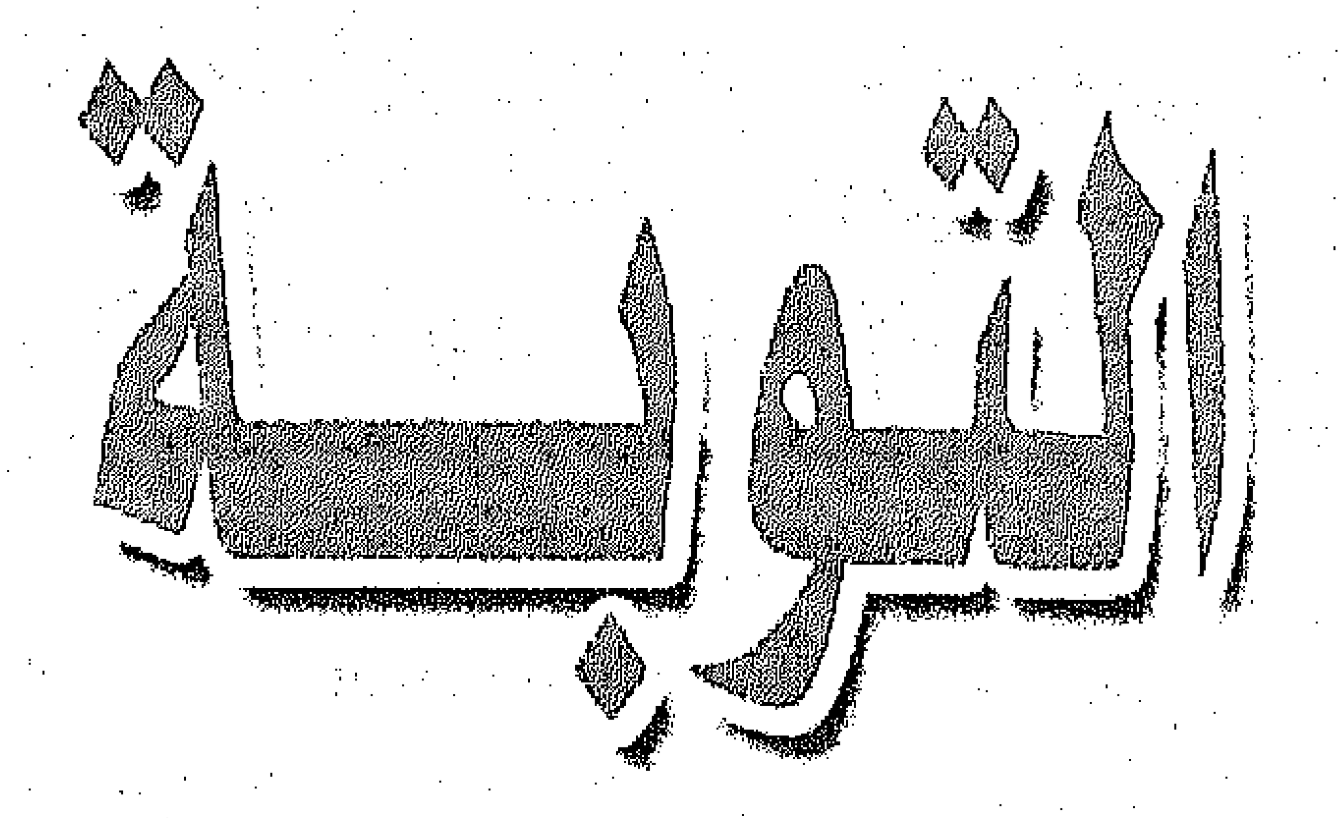
العاشرة: أنها متضمنة لمفتاح الجنة وباب الإسلام الذي يدخل منه إليه وهو كلمة الإخلاص والشهادة ثم قال:

الأخيرة: أن كلمات التلبية متضمنة للرد على كل مبطل في صفات الله من الجهمية المعطلين لصفات الكمال التي هي متعلق الحمد، فهو سبحانه محمود لذاته، ولصفاته ولأفعاله[٣]. ..... فيجب إخلاص النية لله في الحج أو العمرة.

(١) وادي الأزرق بالحجاز. ماء في طريق حجاج الشام.

(٢) الثنية: ما ارتفع من الأرض. وهرشى بسكون الراء والقصر آخرها، وهي ثنية في طريق مكة قريبة من الجحفة، يُرى منها البحر.

(٣) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، بيروت دار الكتب العلمية (١٨٠٩٧٨/٥).



إعداد

محمد رزق ساطور

الحلقة الثانية

الحمد الذي يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات، وهو التواب الرحيم، والصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ، وبعد:

فقد استعرضنا في الحلقة الماضية حقيقة التوبة، وذكرنا شيئًا من فضائلها، وفي هذه الحلقة نكمل بعض فضائل التوبة- إن شاء الله تعالى- فنقول:

رابعا: التائب يقبله الله تعالى ويتوب عليه، ولو لم يكن في التوبة إلا أن يسامحه الله ويقبل توبته لكفى ذلك شرفًا وفضلاً، قال جل شأنه: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٨].

والمراد قَبِلَ توبتكم حين تبتم عن المحظور الذي ارتكبتموه. [روح المعاني ٦٥/٢/١].

قال الرازي: لأن التوبة من العباد الرجوع إلى الله تعالى بالعبادة، ومن الله الرجوع إلى العبد بالرحمة والإحسان، وأما العفو فهو التجاوز يعني عن المعاصي، فبين الله تعالى إنعامه علينا بتخفيف ما جعله ثقيلاً على من قبلنا كقوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

فتوبة الله تعالى دليل الرضا وتوفيق الله تعالى لمن تاب عليهم، فلقد أخبر سبحانه أنه تاب على النبي والمهاجرين والأنصار كرمًا منه سبحانه وفضلاً، فقال ﴿لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

قال ابن الجوزي: كرر- سبحانه- ذكر التوبة، لأنه ليس في ابتداء الآية ذكر ذنبهم، فقدم ذكر التوبة فضلاً منه، ثم أعاد ذكر التوبة. [زاد المسير لابن الجوزي ٥١٦/٣].

وقال القاسمي: اعلم أن الله تعالى لما بين فيما تقدم مراتب الناس في أيام غزوة تبوك، مؤمنهم ومنافقهم، والمنفق لها طوعًا أو كرهًا، والمرغب فيها أو عنها والمتخلف نفاقًا أو كسلاً، وأنبأ عما لحق كلا من الوعد والوعيد، وميز الصادقين عن غيرهم ختم بفرقة منهم كانوا قد تخلفوا ميلاً للدعة وهم صادقون في إيمانهم، ثم ندموا فتابوا وأنابوا، وعلم الله صدق توبتهم فقبلها، ثم أنزل توبتهم في هذه الآية وصدرها بتوبته على رسوله وكبار صحبه جبرًا لقلوبهم وتنويهًا لشأنهم بضمهم مع المقطوع بالرضا عنهم، وبعثًا للمؤمنين على التوبة، وأنه ما من مؤمن إلا وهو محتاج إلى التوبة والاستغفار، حتى النبي ﷺ والمهاجرين والأنصار، كل على حسبه، وإبانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله، وأنها صفة التوابين والأوابين صفة الأنبياء.

[محاسن التأويل للقاسمي ٣٢٨٥/٩]

وقال جل شأنه عن أبينا آدم: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ [طه: ١٢١، ١٢٢].

فتوبة الله اجتباء وتوفيق لمن تاب الله عليه وتشريف لأن الله تعالى تاب عليهم ليتوبوا ودلهم على التوبة،

وقبلهم ليقبلوا عليه ويتوبوا إليه حبًا وطمعًا في فضله جل شأنه، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ﴾ [المزمل: ٢٠].

وسئل بعض السلف عما ينبغي أن يقوله المذنب فقال: يقول ما قاله أبواه: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وقال موسى عليه السلام: ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾ [القصص: ١٦].

وقال يونس عليه السلام: ﴿ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

وقال ابن أبي نجيح: عن مجاهد أنه كان يقول في قوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ قال الكلمات اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي، إنك خير الغافرين، اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمت نفسي فارحمني، إنك خير الراحمين، اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمت نفسي، فتب علي، إنك أنت التواب الرحيم. [تفسير ابن كثير].

خامسًا: أن الله تعالى يفرح بتوبة عبده، فرحًا يليق بذاته جل وعلا، فهو سبحانه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

وفرح الله تعالى بتوبة عبده، يدل على فضل التوبة وشرفها ومنزلتها، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لله أفرح بتوبة العبد من رجل نزل منزلاً وبه تهلكة ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه، فوضع رأسه فنام نومة، فاستيقظ وقد ذهبت راحلته حتى اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله، قال أرجع إلى مكاني، فرجع فنام نومة ثم رفع رأسه فإذا راحلته عنده».

[البخاري ١١/١٠٥، ومسلم ١٧/٦٠، ٦١]

وأول شيء ننبه عليه في هذا الحديث أن المسلم يجب عليه أن يحذر من التعطيل والتمثيل، فإن كلا منهما منزل ذميم ومرتع وخيم ولا ينبغي لأحد أن يشم من نفسه ذلك الأمر الفاسد لأنه يفسد الذوق، ويحرم العبد الفهم والوعي ولا يمكنه أن يذوق طعم الإيمان، بل يعلم أن فرح الله تعالى لا يطلع عليه إلا من له معرفة خاصة بالله وأسمائه وصفاته، وما يليق بعز جلاله سبحانه، وربما كان الأولى بنا طي الكلام في ذلك إلى ما هو اللائق بأفهام بني الزمان وعلومهم وضعف عقولهم عن احتماله، ولكن الله جلت قدرته يسوق هذه البضاعة إلى من يعرف قدرها، فرب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه.

يقول ابن القيم رحمه الله: اعلم أن الله سبحانه وتعالى اختص نوع الإنسان من بين خلقه بأن كرمه وفضله وشرفه، وخلقه لنفسه، وخلق كل شيء له، وخصه عن معرفته ومحبته وإكرامه بما لم يعط غيره، وسخر ما في سماواته وأرضه وما بينهما حتى ملائكته الذين- هم أهل قربه- استخدمهم له، وجعلهم حفظة له في منامه ويقظته، وظعنه وإقامته، وأنزل إليه وعليه كتبه، وأرسل إليه رسله، وخاطبه وكلمه منه إليه، واتخذ منهم الخليل والكليم، والأولياء والخواص والأحبار، وجعلهم معدن أسراره ومحل حكمته وموضع محبته، وخلق الجنة والنار لهم، فالخلق والأمر والثواب والعقاب مداره على النوع الإنساني، فللإنسان شأن ليس لسائر المخلوقات، وقد خلقه بيده ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، وأظهر فضله على الملائكة، فالمؤمن من نوع الإنسان: خير البرية على الإطلاق، وخيرة خلق الله من العالمين، فإنه خلقه ليتم نعمته عليه، وليتواتر إحسانه إليه، وليخصه من كرامته وفضله بما لم تنله أمنيته، ولم يخطر على باله، ولم يشعر به؛ ليسأله من العطايا والمواهب الظاهرة والباطنة، العاجلة والآجلة، التي لا تنال إلا بمحبته ولا تنال محبته إلا بطاعته وإيثاره على ما سواه، فاتخذه محبوبًا له، وأعده له أفضل ما يعده محب غني قادر جواد لمحبوبه إذا قدم عليه، وعهد إليه عهدًا تقدم إليه فيه بأوامره ونواهيه، وأعلمه في عهده

ما يقربه إليه، ويزيده محبة وكرامة عليه وما يبعده منه ويسخطه عليه، فبينما هو حبيبه المقرب المخصوص بالكرامة، إذ انقلب آبقًا شاردًا مائلاً عنه إلى عدوه ناسيًا لسيده، منهمكًا في موافقة عدوه وارتكب مساخط مولاه، فهو بذلك استدعى من سيده خلاف ما هو أهله، فبينما هو كذلك عرضت له فكرة فتذكر بر سيده وعطفه وجوده وكرمه، وعلم أنه لا بد له منه، وأن مصيره إليه وعرضه عليه، ففر إلى سيده من بلد عدوه وجدَّ في الهرب حتى وصل إلى بابه، ووضع خده على عتبة بابه وتوسد ثرى أعتابه متذللاً متضرعًا خاشعًا باكيًا آسفًا، يتملق سيده ويسترحمه ويستعطفه ويعتذر إليه قد ألقى بيده إليه واستسلم له وأعطاه قياده وألقى إليه بزمامه، فعلم سيده ما في قلبه فعاد مكان الغضب عليه رضا عنه ومكان الشدة رحمة به وأبدله بالعقوبة عفوًا وبالمنع عطاء وبالمؤاخذة حلمًا، هذا إذا نظرت إلى تعلق الفرح الإلهي بالإحسان والجود والبر، أما إذا لاحظت تعلقه بإلهيته وكونه معبودًا، فذاك مشهد أجل من هذا وأعظم منه، وإنما يشهده خواص المحبين.

[مدارج السالكين ١/٢٣٠، ٢٣٧ بتصرف]

سادسًا: أن الله تعالى دعا كل الخلق إلى التوبة فدعا إليه الذين عبدوا المسيح، ومن قال المسيح هو الله، ومن قال هو ثالث ثلاثة، ومن قال عزير ابن الله، ومن قال يد الله مغلولة، ومن قال إن الله فقير ونحن أغنياء، ومن دعا لله الصاحبة والولد، فقال لهم جميعًا: ﴿أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٤].

قال ابن كثير: وهذا من كرمه وجوده، ولطفه ورحمته بخلقه مع هذا الذنب العظيم وهذا الافتراء والكذب والإفك يدعوهم إلى التوبة والمغفرة، فكل من تاب إليه تاب عليه.

[تفسير ابن كثير ٢/٨١]

ودعا سبحانه إلى التوبة من هو أعظم محادة لله من هؤلاء وهو من قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٣]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، فقال الله تعالى لكليمه موسى: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٤٣) فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٣، ٤٤].

وقال أيضًا: ﴿أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٠، ١١]، ودعا سبحانه إليها المشركين فقال: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥]، ودعا إليها الكفار فقال جل شأنه: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣٨].

ودعا إليها المنافقين فقال سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥) إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٤٥، ١٤٦].

ودعا إليها من كتم ما أنزل الله تعالى من البينات والهدى فقال جل ذكره: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ * إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠].

وقال جل شأنه: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٨٦) أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (٨٧) خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ (٨٨) إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٨٦- ٨٩].

ودعا سبحانه إلى توبة السارق والسارقة فقال جل شأنه: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٣٨) فَمَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[المائدة: ٣٨، ٣٩]

ودعا إليها من أضاع الصلاة واتبع الشهوات، فقال جل شأنه: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ

خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاَةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًا (٥٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ [مريم: ٥٩، ٦٠]

ودعا إليها من يدعو مع الله إلهًا آخر ومن يقتل ومن يزني فقال: ﴿ وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٦٨- ٧٠].

ودعا إليها جميع المسرفين بأي ذنب كان فقال: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ ﴾ [الزمر: ٥٣، ٥٤].

وقال جل وعلا: ﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأعراف: ١٥٣].

وقال سبحانه: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١١٠]

فالتوبة بابها مفتوح لكل العباد لأنهم عباد الله وهو خالقهم ورازقهم والمدبر لشئونهم، فحينما يعودون إليه يقبلهم ويتجاوز عن سيائتهم وقبيح صنيعهم، وهذا يدل على شرف التوبة وفضلها لمن وعاها وأقبل بها على ربه سبحانه.

وقد قال النبي ﷺ: «لا أحد أحب إليه العذر من الله، ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين».

[البخاري: ١٣/٤١١، ٧٤١٦، ومسلم ٢/١١٣٦]

سابعا: يجعل الله تعالى من يخطئ ويتوب أفضل المخطئين وخيرهم فإذا كان الخطأ يبعد العبد عن ربه، ويكون سببًا في العذاب فإن التوبة تجبر الخطأ ويكون التائب المخطئ خير التوابين، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون». [أحمد في مسنده ٣/١٩٨].

فإذا علم العبد ذلك سارع إلى الله تعالى بالتوبة، وشغل نفسه بتطهير ما تدنس منه وكان حذرًا من الذنوب، حتى يكون خير الخطائين.

والحمد لله رب العالمين

تهنئة

أسرة تحرير مجلة التوحيد تتقدم بالتهنئة للأستاذ السيد عبد الفتاح بمطابع الأهرام بقليوب لترقيته إلى نائب مدير عام المطابع، كما تهنئ الأستاذ يوسف كامل لترقيته إلى وكيل إدارة. ندعو الله لهما بمزيد من الرقي والتقدم.

رئيس التحرير

قرار إشهار

رقم ٩٢٠ بتاريخ ٢٠٠٥/١٠/١٩

تشهد مديرية الشئون الاجتماعية بالغربية، الإدارة الاجتماعية بقطور أنها قد أشهرت فرع جمعية أنصار السنة المحمدية بالشين، ونطاق عملها وأنشطتها مركز قطور، وذلك طبقًا لأحكام القانون رقم ٨٤ لسنة ٢٠٠٢ ولائحته التنفيذية.

دعوة للمشاركة

صدقة جارية ـ علم ينتفع به

بادر أخي المسلم وأختي المسلمة



بالمشاركة بجزء من مالك ومن الزكوات أو الصدقات لنشر التوحيد عبر مجلة التوحيد من خلال المشاركة في الأعمال التالية:

طباعة كتيب يوزع مع مجلة التوحيد مجانًا تتكلف النسخة خمسة وسبعين قرشا يطبع من كل كتيب مائة وخمسون ألف نسخة.

نشر تراث الجماعة من خلال طبع المجلة وتجليدها بجمع أعداد السنة في مجلد واحد وذلك لعمل كرتونة كاملة ٣٣ سنة من المجلة.

دعم مشروع المليون نسخة من مجلة التوحيد.

نسخة من المجلة لكل خطيب من خطباء الأوقاف والأزهر تصله على عنوانه.

كما يمكنك المشاركة بدعم ذلك بعمل حوالة أو شيك مصرفي على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة حساب رقم ١٩١٥٩٠ باسم مجلة التوحيد

